صوت من قادة الفكر الاقدمين

* * *

في هجعة الزمن البعيد ، وفي لمحات الحياة النابضة بالفكر سُمع صوت في اعماق الدهور المتقلّبة على لولبها ، ردّدته الاجيال ولمّا يزل صداه في ملء الافواه والآذان ، ذلك ان العدالة والمروءة والعفّة ، لا تتغيّر حقائقها على حسب ما يرى الانسان ويظن ، وان هي الا المبادىء الاولى والاصول الثابتة التي يجب ان تتضمّنها بعض الاعمال الانسانية فيلجأ اليها الفرد في مدح اعماله ويقيم الادلة على انه لم يعد فيها الصواب، ذلك هو صوت سقراط يجيء مع الايام ليقول ان العلم هو الفضيلة ومن لا يعرف الخير لا تحسب اعماله فاضلة ، فالعمل النافع والخير المطلق هما معا واحد وليست الفضيلة في نظره غير المعرفة ، فيكفي الانسان ان يعرف الخير ليؤديه بالطبع واولى الفضائل هي الحكمة وبها يتميز الخير من الشر ، والحكمة هذه تدعى تبعا لاغراضها شجاعة واعتدالا وعدلا ، والخير عنده هو الحقيقة نفسها واذا كان من يخرج العقاب بضرورة طبيعته يستحيل ان يعمل الشر بارادته ، لان الانسان يريد الخير للخير على الدوام ، فاذا كان الخير هو الحقيقة بعينها ، فخير الفرد لا يفصل قطعا عن خير المجموع ، وعلى ذلك يكون خطأ الانسان لنفسه فيجني عليها ، وحيث انه لا يريد الا الخير فهو كما يفعل الشر يكون مخطئا ، وكل خطيئة ادبية هي غلطة، ولا يمكن انقاذ البشر من الخطايا الا بتعليمهم ومن يملك علم الخير يَر وحدة ذاته مع السعادة ولا يمكنه الا ان يعمل الخير ، فالانسان يعمل كما يفتكر فالفضيلة اذن علم ، والحكيم من افتكر بالخير وعمل للخير نفسه واذا كانت الفضيلة علما فتعلمها واجب والحقيقة واحدة هي الحكمة . وهذه الحكمة التي يدعو اليها سقراط ، ما هي ؟ وما علاقتها بالارادة ؟

انها علم الاشياء التي تخشى ، والاعتدال علم السرور والعدل هو علم ما يستحقه كل انسان ، والصلاح هو علم واجباتنا نحو انفسنا ونحو اخواننا ونحو الوطن ونحو القانون وفيه رعاية الحقوق وحفظ الامن والسعادة والطمأنينة واعطاء ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله .

ويقودنا البحث الى تلميذه افلاطون فيسمعنا خير الاجيال فيقول : ان السعادة والفضيلة لا تنفصلان فالذي يبتعد عن النظام ينبغي ان يعود اليه ، وخير للمرء ان يتحمل الظلم من ان يرتكبه ، فلا يقابل الظلم بمثله ، وعلى المجرم ان يسعى في التكفير عن ذنبه فلا يهرب منه ، والرجل الفاضل يحب الخير بجميع مظاهره ، والسعادة في الناس تتم عندما يهب كل انسان حياته للعمل الذي اعدته له الطبيعة ، فيصل بذلك الى ابعد غاية ممكنة له ، ويقوم للجماعة بأكبر عمل مستطاع ، فتصفو الحياة ويرغد العيش ويعم العدل وتقفل السجون .

وبعد ذلك يسمعنا تلميذه ارسطو قوله عن السعادة : انها الخير الاعظم ويريد بها تمتع قوى النفس بنظام واهلية ، واجلها السعادة العقلية ، والفكر اشرف قوة في الانسان ، وغاية الحياة السلوك حسب مقتضى العقل ، ويصرفنا هذا الى السؤال ، ما هو العقل ؟

هو اسمى قوى الانسان ، وقد اختلف في تعريفه وحدّه ولعل اللغة العربية اوضح لسان في تفسير معناه ، فقيل « ان العقل سمّي عقلا ، من قولهم : عقل الناقة ربطها في وسط ذراعها بحبل يسمّى عقالا » واطلقوه على عقل الانسان لانه يمنع الانسان من الا قدام على ما يضره ، كما يمنع العقل اي الحبل الناقة من الشرود اذا نفرت وقد قال عامر بن قيس : « اذا عقلك عقلك عمّا لا ينبغي فانت عاقل » .

ولا ريب ان فلاسفة اليونان الثلاثة قد جعلوا الفضيلة رائدهم واليها دعوا ، والعاقل من روض نفسه على اتباعها ، وصوت الضمير الحي كفيل باظهارها بالمعاملة والسلوك بين بعضا البعض الآخر ، عالمين ان الناس سواسية كل يحب الخير لنفسه ، وهذا الخير لا ينال الا بالمحبة والمحبةلا تكون الا بالفضيلة والفضيلة وسط بين الحب والبغض ، والسعادة لا يُشعر بها مع الطمع والأثرة وما اجمل قول ابن طباطبا :

اندمتَ حين صفحت عمَّن قد أساءَ وقد ظلم   لا تندَمنَّ فشرُّنا من اتبعَ الخيرَ الندم

عيسى ميخائيل سابا

قصة البحر

الى حسناء لبنانية بيتها في الشاطىء

عظيمٌ ، ولكن شديد العنآء .   فكم راح في الشطِّ يوماً ، وجآء !
هو البحر أضحت له قصَّةٌ ،   كبعض الجبابرة الأقوياء .
سأروي تفاصيلها ، تاركاً   لرأيك أن يجتلي ما يشاء .
فإن تسعدي بقبولٍ لها ،   كفانيَ ، والشّعرَ ، هذا الجزاء !
لقد حدَّثوا البحر عن درَّةٍ   حوى الشطُّ منبتها في خفاء .
وقالوا له : ليس في درِّه   كذاك الشُّعاع ، وذاك النَّقاء .
تكاد ، اذا أوصدت بابها   تضيءِ الشُّقوق بما في ورآء ...
فلم يحضنِ الصَّدفُ المشرقيُّ   مثيلاً لها بين صخر ومآء .
فهام بها البحر ، لا ينثني   عن الشطِّ في صبحه والمسآء .
فطوراً يدانيه حلو الرِّضى ،   لطيف الرَّشاش ، لطيف الهوآء ،
وطوراً يُيَمِّمه غاضباً ،   يجلجل كاللَّيث ملءَ الفضاء .
ويا طالما راق ، أو رقَّ ، أو   تعلَّى ، وكرَّ ، وأعيا ، ونآء !
فآناً كما شعفات الجبال ،   وآناً كما صفحات المرآء .
وكم عاف ، والشَّمس عند المغيب ،   مفاتن بين السَّنى والسَّنآء !
فلم يحتفلْ بعروس النَّهار ،   وركب الجلال ، وخطو الضّيآء .
وكم في الغليل غدت رملةٌ ،   ولم يلتفت للرِّمال الظّمآء .
وكم في الشواطىء إنسيَّة   أتته ، وقد عريت من غطآء ،
تغوِّص ساقاً ، وتخطف أُخرى ،   فللَّه من ملعبٍ للرُّوآء !
ولكنَّما البحر في همِّه   بتلك الَّتي حرمته الثَّوآء .
فان أنت شارفته مرةً ،   فجآء بزرقته والصَّفآء ،
وأيقن أنَّكِ وافيتِهِ ،   تطلِّين من كوَّة ، أو فِنآء ،
وغلغل في الشطِّ بعد الهدير ،   وبعد الطَّواف ، وبعد العيآء ،
فلا تسألي الناس : « ما باله   تهلَّل ؟ » فهو قريب الرِّضآء ...

امين نخله

اديبات عربيات كتبن بالفرنسية

بقلم نقولا يوسف

***

لسبب او لبضعة اسباب ، عمد بعض كاتباتنا وكاتبنا العرب ، منذ اوائل هذا القرن ، الى الكتابة والنظم في لغات اجنبية ، وخاصة في اللغتين الفرنسية والانجليزية المنتشرتين بيننا .. وظهر لهم في الشرق وفي الغرب عدد من الدواوين الشعرية ، والكتب النثرية في شتى فنون الادب من قصة وتاريخ ومقالة ورحلة ...

والحق لقد كان اولئك الاديبات والادباء العرب الذين كتبوا او نظموا في لغة اجنبية ، على كثير من البراعة في تلك اللغات ، مما يشهد بتفوق الشرقيين في اجادة اللغات الاجنبية كتابة وحديثا ..

وللاسباب عينها ، سمح عدد آخر من كتابنا وكاتباتنا ، بترجمة بعض مؤلفاتهم الى مختلف اللغات الاجنبية – شرقية وغربية ..

فلقد كان قراء الكتب العربية حتى الربع الاول من القرن العشرين قليلي العدد .. وقراء الادب الرفيع اقل من القليل .. لان معاهد التعليم على انواعها كانت نادرة ، وكان اكثرها مقصورا على القادرين .. وكانت الامية مخيمة على الافكار العربية عامة ..

ولهذا لم يكن يطبع من كتب الادب العربي ، حديثه وقديمه ، غير كميات محدودة قلما تنفد طبعاتها الاولى في طوال السنين .. وقلما كان الكاتب يجني من قلمه شهرة او مالا او تبادلا فكريا مع قراء قليلين .. في حين كانت الكتب المطبوعة باللغات الاوربية الواسعة الانتشار تلقى سوقا رائجة وقراء عديدين مما يدر المال ويجلب الصيت البعيد .

فلم يكن من المستغرب يومذاك ان يتجه عدد من اديباتنا وادبائنا الشرقيين الى الكتابة بتلك اللغات الاوربية ، التي تعلموها في المدارس منذ طفولتهم واتقنوها في شبابهم ..

كما لم يكن ذلك ايضا نادرا في الهند والصين واليابان .. وعهدنا قريب بمؤلفات تاجور الموضوعة او المترجمة الى الانجليزية ثم الى سائر اللغات ..

بل لم يزل بيننا حتى الساعة من يكتب باحدى تلك اللغات لتعريف الغربيين بثقافتنا ولا غبار على هذا العمل ، ما دام يخدم سمعتنا الادبية ، ويربط بين الشرق والغرب بروابط روحية ..

ولهذا ايضا اخذنا اليوم نشجع ترجمة المؤلفات العربية الحديثة الى تلك اللغات . كما ان بيننا عددا ممن وضعوا رسائلهم الجامعية في الخارج بلغات اجنبية للحصول على الدرجات والمؤهلات ، فاصبحت من المراجع الملحوظة ..

وصفوة القول ، لقد هدف ذلك البعض ، من هذا كله ، الى رواج آثاره بين قراء اكثر عددا – لما في ذلك من تبادل فكري وتجاوب عاطفي اكثر اتساعا .. او الى شهرة تذيع في الآفاق ، او الى مال اوفر يأتي من انتشار المؤلفات ..

ومع ذلك كنا نطمح الى ترجمة كل كتاب يضعه اديب عربي في لغة اجنبية ، الى لغته العربية ، في الوقت نفسه .. فهناك كثيرون من المواطنين ممن لا يعرفون بعض تلك اللغات ، كما ان هناك كثيرين ممن لا يقراون في غير لغتهم العربية .

ولقد كنا نرى في النصف الاول من هذا القرن العشرين ، وفرة من تلك الكتب الموضوعة في لغات اوربية وخاصة في اللغتين الفرنسية والانجليزية ..

ففي اللغة الفرنسية ، وضع قاسم امين عام ١٨٩٤ كتابه : «المصريون» – ردا على مفتريات الدوق دي هاركور .. كما وضع الدكتور طه حسين في باريس كتابه عن «فلسفة ابن خلدون الاجتماعية » حاز به اجازة الدكتوراه من السوربون ، ثم ترجمه الاستاذ عبدالله عنان الى العربية عام ١٩٢٥ .. والف واصف غالي كتابا عن : « حياة البطولة عند العرب » وهو بحث اجتماعي عما عرف عن العرب من سجايا واكبار للمراة .. وكتابا آخر سماه : «روض الازهار» هدف به الى اذاعة امجاد العرب ومفاخرهم ، فترجم الى الفرنسية نماذج من الشعر العربي الذي يمثل الجمال الطبيعي والفخر والحماسة والمدح والهجاء والغزل والحكمة والنوادر .. وكتب مقدمته جول ليمتر عضو الاكاديمية الفرنسية ..

وكذلك نشر الدكتور محمد صبري ، بباريس عام ١٩٣٠ كتابا عن : « المسألة الشرقية » ، والمرحوم محمد حافظ رمضان مؤلفا باسم : « ابو الهول يتكلم » ، وطبع الدكتور علي درويش ، عام ١٩٦١ بسويسرة ، كتابه : « الحب والرغبة في حياة سان بيف » .. وفي باريس وضع الدكتور حسن ظاظا ثلاثة كتب بالفرنسية لم تطبع بعد ، عن : « القسم عند الساميين القدماء » و « اثر المدارس النحوية العربية في النحو العربي بالاندلس » و « المصطلح الديني في النص العبري للتوراة مقارنا بالترجمات القديمة » .. وفي لبنان نشر اوغست اديب باشا عام ١٩١٩ كتابا عن : « لبنان بعد الحرب » ..

وفي ميدان القصة ، الف الدكتور احمد ضيف مشتركا مع الاديب الفرنسي ف. بونجان رواية بعنوان : «منصور» طبعت بباريس عام ١٩٢٤ .. وطبع جورج خياط ، بالقاهرة عام ١٩٣٤ رواية « رياض » .. واميل موصلي ، رواية « حنا صاحب النعجة » .. وفولاذ يكن : « حياة مسلمة » نشرت بالقاهرة عام ١٩٢٩ وايضا كتابا عن : «سعد زغلول» .. وطبع لالبير قصيري عددا من القصص بالفرنسية ، ترجمت الى الانكليزية ، منها روايتا « غرفة بالقاهرة » و « الذين نسيهم الله » ...

وفي الشعر الفرنسي المنظوم ، ظهر بالقاهرة ديوان للشاعر احمد راسم صاحب « ناسك العتقة » و «مجنون العتقة » ، وبضعة كتب نثرية منها : « تقول جدتي ايضا » – ١٩٣٠ – وقد ترجمت عددا من قصائده من الفرنسية الى اليونانية الشاعرة السكندرية اليونانية اليزابيت بساراس .. كما نظم حيدر فاضل ، المتوفي عام ١٩٢٨ ، ديوانا فرنسيا ترجم منه احمد شوقي قصيدة : « الرجل الطيب » الى العربية .. كما وضع كتبا نثرية اخرى .. ونظم الشاعر محمد خيري ، المتوفي عام ١٩٣٨ ، قصائد فرنسية كثيرة .. ولجاستون زنانيري ديوان باسم : « منظومات شتى » ١٩٣٢ وبعض كتب نثرية منها : «ثلاثة نساك من مصر » ١٩٣٣

وللشاعر اللبناني انور شاءول قصائد رقيقة بالفرنسية، وللشاعر الجزائري المعاصر مالك حداد ديوان مطبوع بالفرنسية .. وهناك آخرون لا تعيهم الذاكرة ..

وفي اللغة الانجليزية ظهر عدد وافر من مؤلفات الكتاب العرب .. ومن ذلك : كتاب وضعه علي فؤاد طلبه ، وطبع بلندن عام ١٩٢٦ بعنوان : « سرندريب ارض السحر والاحلام » .. فقد ولد المؤلف بتلك الجزيرة حيث نفي والده احد زعماء الثورة العرابية ..

ووضع الدكتور فيليب حتي كتابه المشهور : « تاريخ العرب » المطبوع بأميركا .. وشفيق غربال ، كتابه عن : « المسألة الشرقية » المطبوع بلندن عام ١٩٢٨ .. واحمد حسنين كتابه عن « الواحة المفقودة » .. واحمد زكي ابو شادي ، ابحاثا وشعرا كثيرا .. وعلي مصطفى مشرفة، ابحاثه العلمية بالمجلة الفلسفية وغيرها بانجلترة .. ودكتورمحمد مصطفى بدوي بجامعةالاسكندرية كتابا عن الشاعر كولردج طبعت خلاصته بالعربية منذ عهد قريب.. ودكتور رشاد رشدي مؤلفا عن «فن القصة» وعددا من الاقاصيص .. ومهدي علام رسالة عن المعري وشعره..

وهناك في المهجر الامريكي كانت مؤلفات جبران خليل جبران ، تنتشر في كل مكان ، ومما كتبه بالانجليزية : النبي ، وحديقة النبي ، ورمل وزبد ، والمجنون ، والسابق، ويسوع ابن الانسان .. وكذلك نظم امين الريحاني الشعر الانجليزي وترجم اليه من العربية بعض القصائد للمعري وغيره ، ونشر كتابه عن تاريخ العرب ، والسعودية .. كما نشر ميخائيل نعيمةبعض القصص والمؤلفات فيهذهاللغة.

ويضاف الى ذلك ان اديبا اسكندريا – هو الاستاذ علي نور – المشرف اليوم على الاذاعة الادبية بمحطة الاذاعة بالاسكندرية ، يكتب ويحاضر باللغة اليونانية ..

كما كانت هناك اديبة مصريةتكتب باللغة التركية –وهي قدرية حسين – وظهر لها في هذه اللغة كتاب باسم « مخدرات اسلام » ترجمت فيه لتسع من شهيرات النساء القديمات من العالم الاسلامي ، وكتاب باسم : «تموجات افكار » طبع عام ١٩٠٩ وبه عدد من المقالات وبعض المنثور عن الآثار المصرية والمساجد والخواطر الفلسفية ..

* * *

غير اننا نقتصر هنا على الحديث عن سبع اديبات عربيات، كتبن او نظمن بالفرنسية .. وكان جل ما كتبن ذا روح شرقي، كما كانت اقلامهن دعاية طيبة للشرق بين الغربيين.

وتجمع بين هؤلاء الكاتبات بعض الصفات والخواص ، ومن ذلك :

– انهن جميعا عربيات ، نشأن بوادي النيل ، وقضين فيه معظم حياتهن او كلها فيما عدا واحدة هي الشاعرة جوزي صيقلي،فهي فرنسية الاصل متمصرة نشأت وعاشت بمصر وتزوجت من عربي ، وقد احببن جميعا الشرق العربي ، وكانت كتابتهن شعرا ونثرا ..

– تختص العروبة بقدر وافر من الوفاء والتمجيد ..

– وانهن جميعا كتبن بالفرنسية .. بلغة بليغة .. واسلوب رشيق ، وعبارة طلية قوية ، نافسن بها كبار الكاتبات والكتاب من اهل تلك اللغة ..

– وهن ايضا كتبن في عصر واحد هو الثلث الاول من القرن العشرين وما بعده بقليل .. وما زلن جميعا يعشن حياة راضية ، ما خلا الكاتبتين المرحومتين : مي زيادة المنتقلة الى رحمة الله يوم ١٩ من اكتوبر ١٩٤١ بالقاهرة وجان ارقش المنتقلة في ١٢ اغسطس ١٩٦١ بالقاهرة ايضا وجميعهن متزوجات فيما عدا الانسة مي ... وانجبن البنين والبنات ..

– وكلهن على جانب كبير من الثقافة والاطلاع والذكاء والجمال ..

– وكان انتاجهن بالفرنسية عامة ، فيما عدا مي التي اصدرت باكورة مؤلفاتها بالفرنسية ، وكان ديوانا من الشعر ثم اقتصرت على التأليف بالعربية ، وغير الكاتبة محسن عاصم « بنت بطوطة » التي كتبت بالفرنسية والعربية معا ..

– واخيرا كن جميعا ذوات ميول شعرية رومانسية ، غلبت على اكثرهن فنظمن الشعر واصدرن الدواوين ، كما صبغت الشاعرية نثرهن .. ولو اتجهن احيانا نحو الواقعية التقريرية .. يكاد لا يستثنى من ذلك غير مؤلفات « بنت بطوطة » التاريخية .. ولم يكن هذا مستغربا وهن اناث يغلب عليهن العطف والرقة والحنان ، ونبغن في عصر سادت الرومانسية الحديثة فيه الادب العربي ، فتأثر بها معظم كتابنا وشعرائنا فيما قرأوا وكتبوا يومذاك ..

مي زيادة

وكانت الانسة مي (ماري زيادة) .. اقدم اولئك الاديبات عهدا بالكتابة والنشر ، واوفرهن انتاجا واكثرهن تنوعا في الموضوعات .. كتبت المقالة ، والنقد الادبي ، والقصة، والتراجم ، ونظمت الشعر بالفرنسية ، ونشرته بالعربية .. وكانت تجيد الحديث والقراءة والكتابة بالفرنسية ،

والانجليزية ، والايطالية ، والالمانية ، والاسبانية ، غير اللاتينية واليونانية القديمتين ، الى جانب لغتها العربية ، التي برعت فيها واشتهرت ..

وكانت مي تعتز بعروبتها وتفضل الكتابة بلغتها العربية على اللغات السبع التي تعلمتها .. فلقد ولدت بمدينة « الناصرة » بفلسطين في ١١ فبراير ١٨٨٦ حيث كان والدها يمارس التعليم . وكانت والدتها فلسطينية من مدينة « الجليل » وابوها ينتمي الى اسرة زيادة بقضاء كسروان بلبنان .. وتلقت تعليمها الاول في مدرسة عين طورة بلبنان،ثم انتقلت الى مدرسة الراهبات ببيروت .. وجاءت مع والديها الى القاهرة عام ١٩٠٨ وكانت وحيدتهما بعد فقد اخيها الطفل الصغير ، لتقضي بقية عمرها ولتدفن في ثراها عام ١٩٤١

فكان لتلك الانطباعات الاولى من صور لبنان ، والارض المقدسة ، ثم حياتها تحت سماء وادي النيل ما الهب خيالها وشاعريتها ، ففاضت نفسها بالشعر ، وتعلقت بالقراءة ، ومارست النظم والموسيقا والتصوير ..

وكانت باكورة مؤلفاتها المطبوعة ديوان من الشعر الفرنسي ظهر بالقاهرة عام ١٩١١ باسم : «زهرات الحلم» ، وقعته باسم مستعار هو : «ايزيس كوبيا» — ورمزت به الى اسمها ، فايزيس رمز « العذراء » ، وكوبيا زيادة باللاتينية .. وضمت الى هذه المنظومات بعض المقطوعات النثرية منها كلمة عن مسقط راسها « الناصرة » ، واخرى عن « الحياة البشرية » ، وعن بيروت وبرمانا .. وتجد في هذا الديوان قصائد رقيقة عن « طيور النيل ، والمقطم ، ووداع القاهرة ، ووداع جبال لبنان ، وعين طورة ، وتنهدات الخريف ، والامل ، واذكروني .. وغيرها .. »

قد كتب صديقها الوفي ، خليل مطران ، عن هذا الديوان ، بجريدة الاخبار ، في ذلك العهد يقول :

« كل كتاب يبقى في نفس متصفحه مثالا من نفس واضعه . وتلك المجموعة المحتوية على خليط عطر ، من نظم ونثر بلسان فرنسوي سهل فصيح ، قد شخصت لي صاحبتها المستعيرة لادبها اسم : ايزيس كوبيا ، تشخيصا لا اظنه يقع بجانب الحقيقة ما لم تكن العواطف التي فيها مستعارة كالاسم .

ايزيس كوبيا فتاة تشعر شعورا شديدا بالقيود المقيدة بها المراة الشرقية — تلك القيود الحريرية الدقيقة كنسج العنكبوت ، المتينة متانة اسلاك الذهب .

اجدها وراء الشعرية تعمل اصابعها في الشبك الحاجب ، لتفتح لها فيه منظرا افسح ، ترى منه وترى . وان ترى جائز عندها او مستحسن .

بل يستشف من بعض شكاياتها انها تذهب الى ابعد من هذه الامنية ، الى البروز في ميدان العمل والمناضلة ، وطلب المجد والنصر .

تمضي بها تصوراتها الى حيث تمضي تصورات نظائرها بنات الجنس اللطيف من العوالم الخيالية ، الرائقة الالوان ، الشائقة للحواس ، التي تشرب انوارها دموع الحزن كما تشرب دموع السرور . ولكنها تعود ابدا الى مطالب لها عند الشاب وعند العصر ، وعند اخواتها واخوتها من بني الانسان . واخص تلك المطالب ان تعيش طليقة ، وان تجد جدها ، وان تكون في الحياة ظافرة لا عاثرة .

لها شغف واي شغف بالشاعر الفرنسوي لا مرتين ، لان في نفسها ولا بد شيئا من التقوى او من التدين ، الا انها تطبع من آمالها على غرارة ما يرن رقيق كلامه . ولكن مع مخالفة احيانا يشعر منها ان الرنة اقرب الى الصليل منها الى قوة العزيمة .

وعلى الجملة طائر جميل يضرب في قفصه ويؤثر على النعمة السابقة ، والعيش الرغد ان يخرج الى الفضاء وينطلق ويجاهد ويغصب سعادته غصبا ويتغنى حرا . »

وكذلك كتبت مي بعض المقالات في جريدة «البروجريه» الفرنسية ، وكثيرا من الرسائل الى مكاتبيها الاجانب — ولا يعرف اليوم مصيرها ، ولا مصير الرسائل التي كانت ترد اليها من كبار الكتاب والكاتبات — بعد ان باع ورثتها مكتبتها وتحفها واوراقها بالمزاد العلني في اثناء محنتها المعروفة ..

وكان ديوان « زهرات الحلم » هذا من قلم فتاة في نحو العشرين ، ثم اخذ هذا القلم في النضوج تدريجيا ، وكانت مؤلفاتها العربية تظهر تباعا .. فنشر كتابها عن « باحثة البادية » ملك حفني ناصف عام ١٩٢٠ وقد نشرت فصوله مسلسلة في « المقتطف » .. كما نشرت محاضرة فلسفية بعنوان « غاية الحياة » عام ١٩٢١ — وكتابيها « سوانح فتاة » و « كلمات واشارات » عام ١٩٢٢ .. ثم « ظلمات واشعة » و « المساواة » ١٩٢٣ .. وفي عام ١٩٢٤ ظهر كتاباها : « بين المد والجزر » و « وردة اليازجي » ... ونشر كتابها : « عائشة تيمور » بعد وفاتها (عام ١٩٥٦) ..

غير ان اكثر ما كتبت مي وانضجه ، لم يزل في طيات الصحف والمجلات ، لم يجمع بعد في كتب .. لاسيما ما كتبته والقته في محاضرات عامة ، وفي الاذاعة عن مشاهير الناس ..

ولقد كتب عن مي الكثير من المقالات ، كما وضع عنها بعض الكتب في القاهرة وبيروت ، وما زال بعض الكتاب يعدون عنها كتبا اخرى .. غير ان الاهتمام كان ولم يزل موجها نحو شخصها وحياتها ومأساتها الاخيرة ، اكثر من فنها ورسالتها وفلسفتها في الحياة .. وسوف نفرد لذلك حديثا خاصا ..

آمي خير

واما الشاعرة العربية آمي خير ، فمصرية النشأة ، لبنانية الاصل .. قضت حياتها بالقاهرة ، وتزوجت بها وانجبت ، وما برحت تقيم بها الى اليوم .. وكان كل ما كتبت بالفرنسية وحدها ..

وكانت لصلتها هذه بلبنان ، ان ظلت شديدة الولع بالجبال اللبنانية ، وصورت بيئات لبنان وسورية في بعض قصصها واشعارها .. وطوفت بالبلاد المصرية واللبنانية والسورية والاوربية ..

وهي فنانة اصيلة ، شاعرية المزاج ، رائعة الجمال ، تجيد الفرنسية كتابة وحديثا .. واسعة الاطلاع ، ومن سيدات المجتمع البارزات .. وكان لها صالو ادبي محدود يعقد بدارها في فترات متباعدة ، كما كانت صديقة لمي ولخليل مطران وعدد من كبار الادباء ، وتدعى للمحاضرة في بعض اندية القاهرة ..

ومنذ عام ١٩٣٠ ـ نشرت آمي خير ثلاثة دواوين من الشعر باللغة الفرنسية .. وهي : « سحابة الرمل » و « جداول المياه » و « البنفسج » ..

وقرظ مطران ديوان « البنفسج » بقصيدة عربية مطلعها :

الحسن كل الحسن في الطبيعة انظر الى آيتها البديعة
ماذا تقول الزهرة الوديعة ؟

كما ظهر لها عام ١٩٣٣ قصة مطولة بالفرنسية باسم : « سلمى وقريتها » طبعت بباريس ـ ومسرحها لبنان .. وتلتها رواية : « هرج بباب توما » ومسرحها سورية ..

وصدر لها بعد عام ١٩٤٣ ثلاث مجموعات من الاقاصيص ، عن نفسها واهلها ، تحمل هذه الاسماء :

« اخوتي » و « اخواتي » و « ما عرفته » ..

هذا الى جانب المحاضرات العامة التي كانت تدعى لالقائها احيانا ، وبعض المقالات في الصحف الفرنسية المحلية .. ومن ذلك محاضرتها بالفرنسية في « جماعة اصدقاء الثقافة الفرنسية بالقاهرة » عن « سلمى ولبنان » تحدثت فيها عن الصلات الروحية الخالدة بين القطرين الشقيقين ـ مصر ولبنان ـ وعن روح الجبال اللبنانية ، وعن السيدة الدرزية نظيرة جنبلاط ذات اللطف والديبلوماسية والذكاء.

اما قصتها « سلمى وقريتها » ـ التي ظهرت بباريس عام ١٩٣٣ كما سلف ـ في نحو ثلثمائة صفحة مكتوبة بلغة فرنسية بديعة .. فتقع حوادثها في وديان لبنان وقراه وجباله .. وتصف المؤلفة قصتها بانها : « حب ساذج درامي في الجبال الغامضة بلبنان .. »

وخلاصة الرواية : ان « سلمى فارس » كانت الابنة الوحيدة لفلاح لبناني سكير ، ولام بائسة .. وكانت فتاة ضعيفة البنية ، ولكن على جانب من الجمال .. اعتادت ان تذهب كل يوم لمساعدة والديها في الحقل الذي يستأجره ابوها من اقطاعي غني له ابن اخ وسيم ..

ووقعت عين ذلك الشاب على سلمى فأعجبته ، فكان يذهب الى الحقل ليراها ويحادثها ، وكانت اول الامر تخجل من التحدث معه ، ولكنها على مر الايام اعتادت رؤيته ، وتسرب الحب الى قلبيهما معا ، والحب لا يعرف الفوارق والطبقات ..

غير ان الناس وقد تنبهوا الى هذه الصلة بين الشابين ، راحوا كعادتهم يتحدثون عنها ، ووصل امرها الى العم الثري ، فهاله ان يتصل ابن اخيه ذو الحسب والنسب بفلاحة يعمل ابوها اجيرا عنده .. وهو لذلك يعمل على ابعاد الفتى من البلدة كلها ..

واما والدا الفتاة ، فقد احتجزاها في البيت لا تخرج منه الى الحقل .. حتى اذا ما تقدم لخطبتها الشاب القروي « انيس » ، قبلاه في الحال زوجا لها دون استشارتها .. وتزوجته الفتاة مرغمة ، بينا كان قلبها عالقا بحبيبها الاول الذي ارغم على هجرها .. وهكذا كتمت اشجانها ، وانطوت على نفسها ، وذبلت حتى ماتت ـ ضحية العقلية الطبقية التي عاناها الشرق طويلا ..

.. هي قصة رومانسية بقلم شاعرة في مقتبل العمر ، تأسرها مآسي القلوب ، وتهزها صور الريف ، ومحاسن الطبيعة ، وروعة الجبال ، فتخرج قصصها اشبه بالقصائد والترانيم .. غير انها برعت هنا في ادارة قصتها حول محور اجتماعي خاص بشكل النظام الطبقي العتيق الذي لا يعترف بالحب والزواج بين الغني والفقير .. وبذلك جاءت قصتها اجتماعية هادفة ..

اما روايتها الفرنسية الكبيرة الثانية: «هرج في باب توما» فتقع احداثها في ذلك الحي المعروف بدمشق باسم حي باب توما ، وفي نواح اخرى من سوريا وخاصة مصيف « بيرود » .. وقد نشرتها « مجلة الاسبوع المصرية » التي كانت تصدر بالقاهرة باللغة الفرنسية في ذلك العهد ، ويكتب فيها عدد من الكتاب العرب والافرنج الذين تجمع بينهم الثقافة الفرنسية ..

ومجمل هذه القصة ان « سليم ركيد » تاجر الجواهر ، اعتاد على التنقل بين بلاد البحر المتوسط للمتاجرة حتى وصل الى مدينة ليون بفرنسا ، فجمعه القدر بفتاة فرنسية احبها وتزوجها ، وانجب منها « وداد » .. ولهذا ارتبط بتلك المدينة واستقر بها ، وهناك شبت وداد واكتمل حسنها وبلغت الثامنة عشرة من عمرها .. ثم حدث ان اعتلت صحتها ، فرأى لها والدها ان تذهب الى بلاده السورية التي لم ترها قط ، انتجاعا للعافية ، وتبديلا للهواء ، والتعرف بوطن آبائها واهلها ..

ووصلت وداد الى دمشق ونزلت ببيت عمها وزوجته بباب توما ، ضيفة مكرمة .. وكان لهذا العم ابنة وابنان شابان ، اصغرهما يدعى « سهيل » ـ درس القانون ببيروت ودمشق ولكنه كان متعلقا بالادب والصحافة ، ولهذا لم يستطع الاثراء ..

وما كادت وداد تصل الى دار عمها ، حتى اقبل الاقارب والجيران لزيارتها ، وحتى راح الشباب منهم يعدون لها الرحلات في ارياض دمشق ، فكانت ترى كل يوم جديدا من صور بلادها وعاداتها .. وشاقها ما رأت من طبيعة ساحرة ، وغياض رائعة .. فاذا ما حل الصيف ، وانتقلت الاسرة

الى مصيفها وحقلها في « يبرود » زاد حب وداد لبلادها ، كما زاد قلبها اقترابا من ابن عمها «سهيل» .. ولكنها كانت تراه منطويا على نفسه ، يطيل الصمت والتفكير .. حتى اطلعتها صديقاتها على سره .. فهو يحب فتاةتسمى « تيودوره » لكنها تزوجت من صديق له ..

وتمر الايام فالشهور هادئة صافية .. وينقضي الصيف ويقبل الخريف .. وينقلب صفاء الصيف في « يبرود » الى شتاء عاصف تصحبه سيول تهدد القرية واهلها .. ويبلى « سهيل » في خلال ذلك بلاء حسنا ، يثير اعجابها وكامن حبها !.

وكانت الرسائل في اثناء ذلك ايضا تتوالى بين والدي وداد المقيمين في الخارج ، وبين ابنتهما التي طالت غيبتها ستة اشهر كاملة .. وعليها ان تعود اليهما فرجعت الى فرنسا لتجد اباها وقد اعد لها زوجا غنيا !

واراد « سهيل » ان يلحق بوداد ، ولكنه كان اديبا مفلسا .. وهو لا يحب ان يقترض من ابيه مالا .. وظل في مكانه بعيدا عن وداد الى الابد ..

وتختم المؤلفة قصتها ببعض الرسائل يتبادلها سهيل وتيودوره ، يعرف منها القارىء قصة حبهما الاول ، ولكنها وقد علمت بقصة حبه الجديد لابنة عمه وداد ، فقد سلته ولم تعد تحب غير نفسها !..

فهنا قصة عن مجموعة من القلوب الناشئة الفتية ، يجمع بينها القدر لتتحاب ، ثم تشقى بحبها وتتفرق في زحمة الحياة وتجاربها المرة .. والحياة تسير غير مبالية بعواطف القلوب الناشئة ، واحاسيسهم المرهفة .. الحياة حسناء محبوبة تحب الحب والجمال والشباب والفن ، ولكنها اسيرة الظروف ومشيئة القدر .. والاهواء .. والموت ..

ان آمي خير شاعرة قبل كل شيء ، وفي شعرها موسيقى وتصوير ورقة انثوية وتعبير بليغ ..

نيلي زنانيري

وكانت الشاعرة العربية نيلي زنانيري في العشرين من العمر، يوم اصدرت ديوانها الاول ، الجامع لشعرها الفرنسي المنظوم في صباها – واسمته : « الحديقة الباكرة » .. وطبع بباريس عام ١٩٢٠ مشتملا على نحو اربعين قصيدة وانشودة ، نظمتها على طريقة الرباعيات ذات الطابع الموسيقي والخيال الرومانسي .. كما ضمنت مجموعتها ثلاث قصائد على نمط غزليات الشاعر الانجليزي توماس مور ، على الرغم من تأثرها عامة بالادب الفرنسي قديمه وحديثه ..

ووضعت لكل قصيدة عنوانا في كلمة – ومن ذلك : قلق، صلاة ، حقائق، كبرياء ، عناق ، موت، فجرالسلام.. او في عبارة شعرية : « يا من عرفت الحب ! » و « لا فائدة من النسيان ! » ..

وكتب بول جيرالدي – الشاعرالفرنسي المشهور صاحب « انت وانا » مقدمة لهذا الديوان بداها بقوله :

« هو الديوان الاول لفتاة في العشرين . وقد ولدت هذه الفتاة الصغيرة في بلاد انوبيس ونيتوكريس ، وكليوبتره .. ولهذا كان لها تلك الصبغة الشاحبةالمذهبة ، لون الرمل والشمس !.. وهو ما نسجه الزمن على هذا الشعب الاقدم في الدنيا .. فهاتان العينان السوداوان ، الغامضتان ، القلقتان ، في نعومة المخمل وفي لمعان الميناء، هما لنساء الشرق ، كما ان لها من الشرقيات تلك القامة التي تميل الى القصر ، والى الاستدارة .. ولها تلك الخطوة اللينة .. وحتى ثيابها ذات الطراز الاوربي تذكر بمصر ، ان لم يكن في تفصيلها ، ففي التآلف الزعفراني لنغمها !.. »

ويقول : « ولكن .. ليس في هذه القصائد المكتوبة بالاسكندرية ما يصور مصر او يذكر بمصر !.. ولما ان ابديت للشاعرة دهشتي لذلك ، قالت : « كنت اعيش بمصر فلم اكن اراها . وكنت احلم بفرنسا وها هي احلامي صورتها .. اما الان وانا في اوربا فقد بدات ارى مصر ! »

ومع ذلك نجد في هذه « الحديقة الباكرة » كثيرا من المعاني الجميلة – ومن ذلك قصيدتها : « فجر السلام » التي نظمتها عندما خمدت نار الحرب العالمية الاولى واعلنت بشائر السلام – وفيها تقول :

« ايها السلام ! لك التحية .. يا رسول السماء !..
نحو جبينك المكلل بالبهجة والضياء ..
وتحت الخطى الظافرة – يهفو العالم اجمع ..
وقلوبنا الهاذية قد خفقت فجأة !

نحن نبكي من فرط السعادة .. نبكي من الفرح !
ولكن بكاءنا له اليوم طعم الشهد ..
لقد نسينا دموع الاسى ،
وايام الحداد القديمة الامر من المرارة !

صيحة « اوصنا » الداوية تهز معابدنا .
والنواقيس في الاعالي ترنم مع ريح المساء .
ورنينها ينشر بعيدا في النسيم :
اغنية البعث للامل الخالد !..

ها نحن ننشد ايضا ترنيمة الخلاص
محتفلين في حماسة بعودتك الظافرة
متهيبين في الاعتقاد مرة اخرى باليقظة الجديدة .
لقد تلمسنا طويلا نجدتك !..

كانت ارواحنا تلهث تحت وطأة العذاب الفظيع .
في ليالي اليأس ، وايام الرعب

وكان اسمك يبدو سرابا خداعا ،
للقلوب المشوهة التي كانت تنزف من جراحها !

ولكنك تقبل في ضياء وتأليه ،
من الخريف الذي مات في الوهج الشديد
من مغاربه الاخيرة ، ووروده الاخيرة ،
التي ما زالت مخضبة بدم الموتى والابطال !

لسوف يتطهر الغد باللهب ،
لهب الضحية المقدمة في النار والدم !
وسينبثق في نفوسنا فجر الايام الجديدة
وستبسم الشمس المضيئة عن قريب في عيوننا !

ولئن كانت الشاعرة نيلي زنانيري قد طوفت في صباها بآفاق الرومانسية الفرنسية ، ولم تصور في ديوانها الاول ، شيئامن الحياة في بلادها ـ كمالاحظ بول جيرالدي ـ فانها ما لبثت ان عادت الى الشرق ، ونشرت بباريس عام ١٩٢٢ ، روايتها : « عذارى الشرق » ، كما اصدرت ديوانها الثاني : « الظهر تحت السماء المحرقة » وبه يرى الاثر الشرقي واضحا ..

وتقدمت بهذا الديوان الشعري الفرنسي لنيل جائزة الشعر السنوية من الهيئة التي تضم شعراء فرنسا ، والمسماة : « بيت الشعر » .. وكان يراس تلك الهيئة يومذاك « فالي بايس » السكرتير العام السابق «للكوميدي فرانسيز » ..

وقد منح الشعراء الفرنسيون الجوائز الثلاث المخصصة لابناء فرنسا . اما الجائزة الرابعة وهي جائزة «ادجار بو» الخاصة بالشعراء الاجانب الذين ينظمون الشعر باللغة الفرنسية ـ وقدرها خمسة آلاف فرنك ، فقد نالتها الشاعرة العربية « نيلي زنانيري » على ديوانها هذا .

وكان مما جاء في خطاب المسيو بايس في ذلك الحفل الادبي بباريس ، قوله :

« ان هذه الجائزة المخصصة منذ عشر سنوات ، تفوز بها لاول مرة شاعرة مصرية ... واننا لنغتبط اليوم اذ تنالها السيدة نيلي زنانيري من اجل كتابها الممتع الطريف . وكانت قد تقدمت لهذه المسابقة مرات عدة . وها هي اليوم تجني ثمرة ثباتها ومواهبها الشعرية الصافية ، الفياضة بالشعور .. »

ثم اشار السكرتير العام لتلك الهيئة الثقافية ، الى ان السيدة زنانيري منحت الجائزة باجماع الآراء بين ستة واربعين متسابقا ، تقدموا بمائة وخمسين ديوانا من الشعر .. »

وجدير بالذكر ان الشاعرة نيلي زنانيري من اسرة تحب الادب والتأليف وان اخاها جاستون زنانيري له عدة مؤلفات بالفرنسية منها ـ كما سلف القول ـ ديوان «انغام شتى» وكتاب « ثلاثة نساك من مصر » ..

وقد امتازت هذه الشاعرة بقوة التعبير ، ورشاقة اللفظ ، وسعة الخيال .. ومع ما نالته من شهرة بين قراء الادب الفرنسي ، فان قراء العربية لم يحظوا بعد بترجمة آثارها الادبية الى اللغة العربية . كما لم يحظوا بترجمة شيء من آثار آمي خير ..

جـان ارقش

ويعد الكثيرون الاديبة العربية السكندرية جان ارقش ابرع من كتب بالفرنسية بين الشرقيين . ولعلها ورثت ايضا ميولها الادبية عن والدها المرحوم انطون ارقش ، صاحب الطرائف في الادب والصحافة ..

ومما خلفت من المؤلفات ، كتاب : « مصر في مرآتي » ، وقصة : « الغرفة العليا » .. وكتاب في سيرة « فخرالدين المعني » ثم كتاب للناشئة اسمه : « العنزتان » .. وعدد من الفصول القصيرة كانت تكتبها في صحيفة « البروجريه اجيبسيان» ـ جريدة مصرية تصدر بالفرنسية ـ وكانت تلك الفصول ذات صبغة شعرية تستلهم في اغلبها الحياة السكندرية وصورها .. ثم كثير من المقالات التي عالجت فيها الشؤون الاجتماعية والتربوية في اسلوب جزل ولمسات سريعة ..

وقد توفيت جان ارقش الى رحمة الله بالقاهرة في ١٢ من اغسطس ١٩٦١ ـ ودفنت بالاسكندرية حيث قضت معظم حياتها .. وكتب عنها عقب وفاتها الكاتب السكندري الاستاذ صديق شيبوب مقالة بجريدة «البصير» السكندرية، تناول فيها جانبا من حياتها بقوله : (١)

« ولدت جان ارقش بالاسكندرية ، وعاشت فيها اكثر سني حياتها . فتأثرت بجوها البسام . بل تأثرت خاصة بالحياة في رمل الاسكندرية بتلك الحديقة الغناء التي تحيط بمنزلها او بما يطوف حول هذا المنزل من حياة هادئة رخية ، وبصوت القطار الذي يمر من بعيد ، وبتوقيت ساعة الكنيسة في دقاتها المتوالية ، وبمناظر الشاطىء ومظاهره الصاخبة في الصيف ، وتأثرت كذلك وبنوع خاص بتلك الزهور التي تنبت في حديقة منزلها ، فيظل بعضها على عدده بهجة للعين والقلب ... وقد وصفت جان ارقش جميع هذا في كتابها : « مصر في مرآتي » ..

« ولقد ولدت جان ارقش في بيت ثراء وجاه ، ونشأت كما تنشأ بنات الاغنياء . ولكنها لم تطمئن الى هذه الحياة منذ صغرها . فاقبلت في المدرسة على الحفظ والتعلم . وانصرفت بعد المدرسة الى المطالعة والتثقف . فتعلمت الموسيقى على استاذة بارعة ، واقبلت على دراسة

(١) جريدة البصير في ١٩ اغسطس ١٩٦١ ـ وترجم الاستاذ صديق شيبوب اقصوصة « العنزتين » لجان ارقش بمجلة « الاديب » عدد ابريل ١٩٦٠.

اللغات لتطالع الكتب الادبية في لغاتها الاصلية ، فأتقنت الروسية والانجليزية . اما الفرنسية التي تعلمتها في المدرسة ، والتي اخذت تتحدث بها والتي برعت آخر الامر في كتابتها ، ووضعت فيها من الكتب ما يعد روعة من حيث الاسلوب واللغة وتساوق الالفاظ وموسيقى العبارات ، مما هيأ لها ان تكون في طليعة الادباء المصريين الذين يكتبون باللغة الفرنسية . بل في طليعة الكتاب الفرنسيين انفسهم .

ولو ان جان ارقش رضيت ان تغادر وطنها مصر ، وان تنخرط في سلك الحياة الادبية بفرنسا لبلغت شأوا كبيرا وفازت بشهرة واسعة في عالم الادب الفرنسي . وكان والدها المرحوم انطون ارقش من المهتمين بالشؤون العامة ، وعضوا منتخبا لمجلس بلدية الاسكندرية . وعرف بمحاربته لشركات الاحتكار وبالقضايا التي اثارها ضد شركتي المياه والغاز . وكان الى هذا وذاك ذواقة للادب ، درس العربية على الشيخ ابراهيم اليازجي بالمدرسة البطريركية ببيروت ، وكان يترجم لكريمته جميع المراجع التي تحتاج الى مراجعتها »

واما كتابها : « مصر في مرآتي » (٢) ففيه صور من النثر الشعري عن الازهار والحدائق .. وعن قصص الحب بين الازاهير اذا ما جاء الليل وصمتت حركة الاحياء والاشياء .. وكيف يسمو « فتيان الليل » الى « بنت القنصل » (وهي من اسماء الزهر) اذا ما سجا الليل .. وما اشبه من صور الطبيعة في خيال الشاعر .. وكما يصف طه حسين الكتاب : « كيف تعكس جان ارقش في كتابها صورا مصرية اخاذة ... انه من اجمل هذه المرايا واصفاها .. »

واما « الغرفة العالية » فقصة بسيطة ذات جو شعري ، بطلتها فتاة بمدرسة الراهبات ، كانت صديقة للكاتبة وماتت بالمدرسة .. وبها صور اخاذة عن الزمالة والصداقة في المدرسة ، وعمل الراهبات والحياة المدرسية .

وفي كتابها « الامير ذو الصليب » ترجمت جان ارقش لشخصية لبنانية تاريخية ـ فخر الدين المعني ـ وقضت السنين بين المراجع والمستندات ، وترددت على مكتبة الاباء اليسوعيين ببيروت ـ وخرجت من هذا كله بمادة وافرة استعانت بها في سرد الحوادث التاريخية ، بأسلوب بليغ ، هادفة من تقديم هذه الشخصية الى تقوية روح التفاهم والانصاف .. بين الشرق والغرب في وقت تفاقم فيه العداء بين العرب والانتداب الفرنسي بلبنان وسوريا .. وتروي في اقصوصتها : « عنزتا ابي سليمان » حكاية عنزتين عبثتا باحدى دور البريد ، وكادتا تؤديان بصاحبها الى السجن ، لولا فطنة القاضي ... وقد كتبتها للناشئة .

---

(٢) كتب عنه ادمون جالو مقالة بجريدة « لينوفيل ليترير » حوالي ١٩٣٠ ـ والدكتور طه حسين في « مجلتي » بالقاهرة ..

محسن عاصم « بنت بطوطة »

وتكتب السيدة الادبية « محسن عاصم » ابحاثها وتنشر مؤلفاتها بتوقيع « بنت بطوطة » ـ كما تلقب « بأم البحرية » ..

وهي كاتبة على كثير من الثقافة والاطلاع ، ولا سيما على كتب التاريخ والاثار ، ثم الكتب الادبية عامة .. وتجيد خاصة اللغات العربية والفرنسية والانجليزية ، وتقرأ وتكتب بها جميعا . ولكن اكثر كتاباتها باللغة الفرنسية ، ليطلع عليها الغربيون .. ثم اهتمت بنقل بعض مؤلفاتها الى اللغة العربية ، ومن ذلك :

« تاريخ فينيقية » طبع بمصر عام ١٩٤٥ ـ « هرون الرشيد والبرامكة » ١٩٤٦ ـ « صفحات من تاريخ البحرية المصرية » ١٩٤٧ ـ « رواية قرصان البحر » ١٩٥٢ ـ « معركة نفارين » ١٩٦٠ ـ « عصر سيف الدولة » (معد للطبع) .

وكذلك نشرت في الصحف العربية عددا من المقالات ، ومن ذلك مقالات بمجلة « الثقافة » بالقاهرة فيما بين عامي ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧

ولكن اكثر ما كتبته هذه الكاتبة سواء بالعربية أم بالفرنسية ، ما زال مطويا عن الكثيرين من القراء .. بعضه في الصحف والمجلات العربية ، والبعض الاخر في صحف فرنسا ومجلاتها .. ثم ان هناك الكثير مما لم تنشره بعد .. واما ذكرياتها ورحلاتها ، وهي ملأى بالطرائف ، فلم تعن بنشرها .. وهي اشد اهل القلم زهدا في الشهرة والدعاية والتحدث عنها ..

وقد قرظ خليل مطران كتابها « البرامكة » بقصيدة عربية رقيقة كما نقده فريد ابو حديد في مقالة بمجلة « الثقافة » ..

وولدت « محسن عاصم » بالاسكندرية ، وتعلمت في مدارسها ، وتعلقت منذ صباها بالبحار والاسفار ، وبالمراكب والاساطيل ، وبتاريخ البحرية ومواقعها الحربية ، واشادت بأمجاد العرب في البحار ، وعطفت دائما على رجال البحر ، حتى لقبت : « بأم البحرية » .. ويبدو انها ورثت هذه الميول البحرية عن جدها امير البحر « حسن باشا الاسكندراني » الذي ابلى في موقعة نفارين يوم ٢٠ اكتوبر ١٨٢٧ ، ثم استشهد في موقعة القرم عام ١٨٥٥ ، وكان من قادة الاسطول المصري في القرن التاسع عشر ..

وطافت الكاتبة بالاقطار العربية ، وتنقلت بين لبنان وسوريا وتونس والجزائر ومراكش ، ثم تجولت في اسبانيا وفرنسا وبلجيكا وسويسرة وغيرها .. وركبت السفن الصغيرة متنقلة بين موانئ البحر المتوسط ، والبحر الاسود ـ وقضت مرة ثمانية عشر عاما في

التجول خارج بلادها .. ولهذا اطلق عليها : « بنت بطوطة » ..

ولم تحب واخر الترف ورحلات البذخ ، بل كانت دائما البحارة التي تربت على ظهر البحر .. وكانت الى جانب غرامها بالبحر والسفن والسفر ، تهدف من هذا الطواف الى دراسة الآثار القديمة ، والمعالم التاريخية الدارسة ، والمتاحف والمكتبات — شغفا بالتاريخ والبحث عامة ، وبتتبع امجاد العرب في البحر والبر ، خاصة ..

ولكنها اليوم — وقد نيفت على الستين من العمر — فانها راحت تستريح من التجول والاسفار ، وقنعت بقضاء شيخوخة هادئة مع الفلاحين في مزرعتها بشبراخيت ، تحنو عليهم وتساعدهم وتدرس مشاكلهم .. ولكنها مع ذلك لم تستطع الابتعاد عن البحر وذكرياته ، فاقامت لها بيتا بناحية وطنية شعبية ، بين الانفوشي وراس التين بالاسكندرية ، يطل على البحر وعلى مراكب الصيادين ، وفيه وضعت مكتبتها العامرة بكتب التاريخ والادب ، ولوحات المواقع البحرية ورجالها .. وصورها الرائعة الحسن في عهد الشباب ..

وتستقبلك « بنت بطوطة » في بيتها هذا هاشة باشة — على شرط الا تكون صحفيا ! — والبسمة دائما على وجهها الصبوح ، الذي لم تنل منه تجارب السنين ، وتحدثك بلهجة بلدية سكندرية ، تتخللها النكات و « القفشات » الذكية .. ثم يتشعب الحديث ، ويتنقل بين ثقافات الشرق والغرب ، وبين الآثار العربية بالاندلس ، ومعالم مراكش حيث طوفت ، وبين باريس والاسكندرية والبحر الاسود .. متعصبة للعرب ولامجاد العرب ، وللثورة المصرية الحديثة التي ترفع من شأن العرب ، محدثة لبقة ، وذكية صريحة ، لا تحجب عنك شيئا في نفسها ..

وتسألها متى وكيف كان هذا اللقب الذي اشتهرت به : « بنت بطوطة » ؟ وتجيبك انها التقت حوالي عام ١٩٢٨ بباريس حيث كانت تبحث وتكتب ، بالمستشرق الفرنسي الباحث « كريستيان شيرفيس » ، الذي تخصص في فقه ابي حنيفة ، وعاش بين اكداس المصنفات والمخطوطات الفرنجية والعربية ، ولاحظ المستشرق في اديبتنا الشابة مواهب كامنة لادبية تتعشق تاريخ قومها وآثارها ، ولما استوثق من حبها للعرب وللشرق ، سألها لماذا لا تكتب وتؤلف عنهم ؟ واذ وجد منها رغبة في ذلك ، قال : « وسألقبك ببنت بطوطة . فانت حفيدة ذلك الرحالة العربي الاشهر ، ابن بطوطة ، الذي طاف مثلك بين البلاد ، وقضى السنين فوق البحار .. » .. ثم تركها تبحث وتنقب في مكتبته النادرة ، وتقرا ما شاءت من الكتب ..

ومنذ تلك اللحظة راحت « بنت بطوطة » تنشر ابحاثها في الصحف والمجلات الاوربية والعربية .. وتوقعها بهذا الاسم وحده ..

وحدث لها وهي في باريس حادث طريف ترويه متفكهة فيما تروي من ذكريات مطوية لا حصر لها : اذ اقامت جريدة « الماتان » الفرنسية يومذاك مسابقة بين الادباء موضوعها : « أشهر المواقع التاريخية » ، واختصت الفائز بجائزة مقدارها خمسمائة فرنك .. واشتركت « بنت بطوطة » في تلك المسابقة تحت اسم رجل فرنسي مستعار « جان ... » وكتبت عن مواقع حطين ، وعين الجالوت ، وشريش وكلها وقائع ظافرة من امجاد العرب .. واعلنت النتيجة فاذا باديبتنا هي الفائزة بالجائزة ، ونشر بحثها تحت ذلك الاسم الفرنسي المستعار .. واطلع ضابط فرنسي اديب على البحث الفائز ، وعجب كيف ان كاتبا فرنسيا يمجد انتصارات العرب ويكتب عن هزائم الافرنج ، وهاجم « الكاتب » وما كتب ، وردت عليه الكاتبة ، فتملك الضابط الغضب ودعا « كاتب » البحث الى المبارزة !

وزارت اديبتنا رئيس تحرير « الماتان » وعرضت عليه حكاية المبارزة ، وسأل الرجل عن سبب تدخلها وهي الشرقية بين رجلين فرنسيين متنازعين ، فلما ان ادرك انها صاحبة البحث الفائز وان الضابط الفرنسي قد التبس عليه الامر بسبب توقيعها المستعار ، اغرق في الضحك . وفي اليوم التالي رأت كاتبتنا ، خصمها المبارز يقرع بابها حاملا طاقة كبيرة من الزهر ، معلنا اسفه واعتذاره ، واعجابه ! ..

وثابرت « بنت بطوطة » على الكتابة في التاريخ العربي والآثار ، في صحف فرنسا ، ولما عادت الى وطنها بدأت تصدر بعض كتبها الفرنسية باللغة العربية ، وتكتب في الصحف العربية .. وكان آخر ما نشرته بالعربية — في ٨ يوليه ١٩٦٠ كتيب عن « موقعة نفارين » السالفة الذكر وذلك يوم احتفال البلاد بيوم البحرية ، وبانشاء المتحف البحري .. ودعيت « بنت بطوطة » الى الحفل ، واهدى اليها الرئيس جمال عبد الناصر نوطا شرفيا بدلا من النوط الاول الذي سرق من بيتها ...

قوت القلوب الدمرداش

واختصت الكاتبة قوت القلوب بالقصة .. ونشرت قصصها بالفرنسية واهمها بعنوان : « حريم » ظهرت طبعتها الخامسة بباريس عام ١٩٣٧ ، واهدتها الى امها .. وصورت بها خلال حوادثها الهادئة كثيرا من الصور المصرية ومن ذلك : شم النسيم ، الخطبة ، كتب الكتاب ، حفلة الحناء ، ليلة من رمضان ، عيد الاضحى بالقاهرة ، ليلة بين المقابر ، عودة الحجاج ، قهوة بمصر العتيقة ، حفلة الذكر بمسجد سيدي المغربي .. وكلها صور شعبية جاءت خلال قصتها في لغة رشيقة ..

العودة الى سورنتو

للمرة الالف
صحبت الصوت والنبره
احسست طعم الفرح الغامض
والحسره
احسست طعم النحاس
على شفاهي ..
آه يا ليمونة مره
لا تسرفي في الغناء
لا تفتحي في جبهتي حفره
توقفي ..
فلم تعد في جانحي قطره
لم تنهمر ..
لا تمنحيني العزاء
اريد ان ابكي
ولو مره
ان ارتمي في بركة الاحزان ..
اخبو نظرة .. نظره
فطالما عدوت مبهورا
وراء الصوت والالحان
ولم أعد مره
وظل طعم الصدأ الازرق
والنسيان
يجرح في أعماقي الخضره
فلتصمتي ..
لا تكملي الدوره
لا توقظي الجرح ..
سابكي هذه المره ! !

بغداد محمد سعيد الصكار

جوزي صيقلي

اما هذه الشاعرة البارعة ، المتمصرة ، فقد عاشت بمصر جل حياتها ، وتزوجت من اديب عربي كبير ، يجيد الكتابة بالعربية والفرنسية على السواء ، وهو الاستاذ اشيل صيقلي .. ولكل من الزوجين مذهبه في الادب والبيان .

ولهذه الشاعرة ديوان من الشعر باللغة الفرنسية اسمته : « الرؤيا » .. وكتاب فرنسي باسم : « اكليل البنفسج » نشرته « مجلة الاسبوع المصرية » عام ١٩٣٥ ، ويتضمن عشر مقالات نثرية أشبه بقصائد من الشعر المنثور ، عن رحلة لها ببلاد اليونان .. ووضعت لكل فصل منها عنوانا من هذه العناوين : الى اليونان ، جولة في اثينا ، كنوز اثينا وهياكلها ومتاحفها ، على الطريق المقدس لالفسيس ، عظمة دلفي التراجيدية ، روعة اولمبيا ، عبر البلوبونيز ، نزهات اخيرة ، احراش الزيتون والسرو ، يونان اليوم ويونان الخالدة ، وداع يونان ..

وقد كتب خليل مطران مقالة عن كتاب : « اكليل البنفسج » (بجريدة الاهرام في ٧ يوليه ١٩٣٥) ، وترجم بها عن هذا الكتاب بعض فقرات تغني عن كل ترجمة سواها .. ومن ذلك قول الشاعرة حين وقفت خاشعة امام هيكل البارتنون ساعة الاصيل :

« ان الاعجاب لكالالم ، والحب يفضي الى الصمت . وان الصمت على حشد يتحرك تحته من النوازع النقية العنيفة ، لاجمل صلاة تقال على هضبة الاكروبول .

الافق صاف صفاء البكارة . والسماء تساقط وردا وبنفسجا . وكل ما يكتنفنا ، وكل ما دون اقدامنا ورد الرخام والصخر . وايدينا ووجوهنا كل اولئك ورد !

اما البرتنون فيسطع سطوع الكوكب . اي درس حكيم يستفاد من كماله ؟ جمال هذه الطبيعة وهي آية من صنع الله ، وجمال هذا الهيكل ، وهو آية من صنع الانسان ، يسبيان البابنا ، ويتغلغلان في حنايانا وجوانحنا ، ويطردان منها كل ما لا يخلق بأن يجاورهما فيها ، طهر نفسك لنكرم وفادة الجمال ، وكل ما عداه لا نراه جديرا بأن يحل محلا من قلوبنا او من عقولنا ، ليتنا لا نحيى الا لنتذوقه او لنحتفي به . انما الحقيقة هي الجمال ! »

وعند الاطلال الفخمة المهشمة في أولمبيا تقول :

« سمعت روح الانقاض تتحدث الي فتقول : لا حزن على ما فات من مجدنا . فذلك مصير كل صنيع انساني . ولم الاسف على ما فات ، ولم الجزع على المفاخر الشماء ، يوم تتقوض وترد الى الثرى ؟

نحن اليوم اعلى مقاما ، واكبر اجلالا مما كنا بالامس ، لاننا اصبحنا وقد عطلت الشعائر التي خلقنا لها ، وانتفت المنافع المرجوة منا ، وصبأ عنا المؤمنون وفحول الرجال . ومعبودون كانوا اقل نبلا من عابديهم . فلم يبق منا الا انقى ما ابدعه العقل . فأذكر انه لا يفقد شيء من فعل أو من فكر او من خيال ! .. »

ويصف خليل مطران هذا الكتاب بقوله : « ... عشر مقالات نثرية ، ولكنها عشر قصائد شعرية .. ديباجة سليمة ، سمحة ، شفافة ، بديعة التلوين ، تكسو فكرا صادرة عن قريحة فوارة متوهجة ، واحساس يتناهى في الرقة .. وصف يصور لك روحانيتها ماثلة مجسمة بينة الدلائل . وبين آن وآن في هذه السلاسل الجمانية الصافية ، يروعك الشعاع الذي يفاجيء ويبهر ! . »

رمل الاسكندرية نقولا يوسف

النقد والمثال في ادب السحرتي

بقلم ابو طالب زيان

العضو الفني بالادارة العامة للثقافة بالقاهرة

* * *

لعلي لا اكون مغاليا اذا قلت : ان الاستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي ، يعد المنهجي الاول في النقد الموضوعي للادب الحديث ، والمفهوم الذاتي للدراسات الادبية المتعمقة في القصة والمقال الادبي والمسرحية والتراجم والتعريف والشعر والكتابة .

فالسحرتي الذي اختار له هذا الموضع من التاريخ الادبي ، ودخل بنفسه في معاركه ، هو السحرتي ببيانه اللامع ، ونفسه السهلة ، وتوجيهاته الراشدة في كل فن تناوله ، او قول اختار الكلام فيه ، او المشاركة على رضا منه في التفنيد ، او الادلاء بالراي ، او التقدم بالمشورة .

والنقد كان ، وما زال ، جل اهتمامات هذا الكاتب ، وهو الاداة الطيعة التي اختارها سهلة في يده وان كانت قد احدثت هذه الانقلابات في معايير الادب واصطلاحات النقاد ، ومتعارفات المدارس التي نشأت تؤسس لهذا النوع من الدراسة ، وتبني لهذا الاتجاه المتفنن .

على ان السحرتي في كتبه القليلة التي ظهرت له ، والتي اختار لها هذه المضامين ، ورسم لها المناهج النقدية ، قد كان خير معيار لهذه الاسس البانية ، وملتقى للتيارات تعاورت النقد منذ استوى الى ان اصبح علما ، ومضمونا ككل المضامين .

فالقصة عند السحرتي تحتاج الى العين القوية الملاحظة ، والاذن المرهفة المتنبهة ، ثم الى الخيال المبدع ، والى الشخصية الادبية النقية . ومادة القصة الباقية ، ينبغي ان تكون مادة مقطوفة من واقع الحياة ، او واقع القاص وتجاربه وتأثيراته وتأملاته الحادة .

ودور التصميم في القصة ، وتنظيمها وحبك سياقها ، دور خطير . اذ لا بد في كل قصة من عقدة فنية ، اي ان يكون للقصة هيكل او اطار ومفهوم وهدف يرقد وراءها ، يبقى في الذهن ، او يظل في الوجدان هذا الدهر الطويل الذي تترسب فيه مادتها ، فيظل مشرق الطلعة ، مضيء الجنبات .

ومما لا ريب فيه ، ان معالجة السحرتي لهذه الناحية ، قد تكون في مضمونها دستورا لكتاب اليوم الذين تفيض وجداناتهم بهذا القصص الذي يصدم القارىء هنا وهناك دون اساس او اتجاه او هدف الا ما كان من هذه التوزيعات التي تعمر بها واجهات المكاتب في شتى الاقطار ، تحمل هذا الوليد الذي تمخضت عنه هذه الثقافات الرخصة في كل اتجاهات القصة ، ومضامين هذا المفهوم الذلول .

فالمتتبع لدراسة السحرتي في القصة ، يرى انه استعرض بعضا من قصص اختلف شداتها في كل مضمون اتفق عليه بناة القصة ، او بالاحرى ، يرى الوضع والبناء يختلف والاساس الاول الذي يجب ان يكون عليه الفن في تناوله للوحدة الزمنية او الوحدة المكانية ، والتأثير المجرد الذي ينشده الكاتب على القارىء من اثارة الخوف او الفرح او الضحك ، او المرح او الامل او الحزن . اذ القاص الحقيقي ، هو الذي ينقلك الى جو شخوصه او احداثه ، فيجعلك تحيا مع الشخوص ، او تساير الحركات ، وتترقب احداث القصة بلهفة ودون انتظار .

هذا الترسم الذي تناوله السحرتي في مادة المعالجة لتيار القصة ، وغمورها عقل الشباب ، وزحزحتها لهذا البناء الذي رسخ في عقل الشيوخ ، لا يفتأ ان يصيبه العدم في الذات والموضوع في حبك اي قصة ، او لم أطراف المبعثر من هذه الوريقات التي تملأ رفوف المكاتب ، وتصطرع القارىء الجاد في كل امسية او اصباح اذا ما اراد لنفسه التأمل ، او الدراسة ، او الغوص بين الشخوص . ولقد ناقش السحرتي كثيرا من القصص التي وقعت له ، وهي لبنات من واقع الحياة ، او لشداة من فعل الزمن ، وان كان المعلم الذي احسن الاختيار في العرض ، والموجه الذي يأخذ عليها هذه المآخذ المعتبرة في دستور القصة ، او البانية عند من يريد الاسترشاد .

والواقع ان السحرتي ، لم تفته عملية التركيز في الفن الادبي التي تتطلب التجربة الطويلة والمران والمعاناة والتكوين والخلق والممارسة على التنظيم الفني الذي يخلق المقال بحافز ملهم ، او خيال وفهم بالتعلم والموهبة . اذ الكاتب الذي يعود نفسه التفكير تفكيرا مستقلا له وجهته الخاصة ، هو الكاتب المتميز الذي يتعود على هذا الاتجاه بالنظر الى زاوية مضادة لكل موضوع يلذه ، سواء اوجده في صحيفة ، ام سمعه في مناقشة ، ام قرأه في كتاب .

على ان سلامة موسى واسماعيل مظهر ، وابو شادي ، كانوا خير شواهد الابداع في هذا المجال . فقد اتاحوا فرصة المخالفة في الموضوعات من وجهة نظر معينة ، ونجحوا في تناول الاراء تناولا يحسب لهم في التقدمية التي بهر بها الناس ، واصبحت المضمون والشكل والمزية التي تطامنت على هذه الاثلة التي يحملونها : كل في اتجاهه ، او نوعه ، او ثقافته ، او تفرده .

ومما لا مشاحة فيه ، ان انسياب السحرتي في هذا المضمون ، واندفاعه في الحكم على هذه الشواهد ، قد كان له اثره في المادة التي ينبني عليها المقال ، والمضمون المتخير الذي انفرد به كل من هؤلاء وسط هذه العواصف التي اتت على كثير من هذه الذبالات التي ومضت في جنح الليل ، لكن قد أصابها ما أصاب غيرها من خفوت ، او صرع ، او اندحار .

فسلامة موسى ، لم يهتم بفنية المقال ، وتركيزه حول الفكرة التي يريد بثها ؛ ولم يهتم بالاناقة اللفظية ، كما اهتم معاصروه من الكتاب ، لكنه كان يكتب مجاهدا الاراء السائدة والتقاليد الجارية ، لا حبا في المعارضة ولكن حبا في التقدم والتحضر . والى هذا النزوع الكتابي الجريء الذي بلغ به شأو الشهرة الحقيقية المجردة من كل زيف، كان اسماعيل مظهر يعيش في جمال البحث ، ويخلع عنه الزخرف ، ويطرح التلاعب بالالفاظ ، ويمضي يحدوه اليقين الحق ، وتسمو في نفسه الفنون التي يجمعها في اكثر المواد ، ويظفر بها في خضم هذا العباب الذي تأنق في العبارة ، وحمل مشعل البلاغة اللفظية المرصوصة .

ولقد عاب السحرتي في هذه المعالجة ، طرائق هذا النفر، وضرب الامثلة على الملاحاة التي وقعت بين الفريقين، وان كان قد عرضها دون اهتزازات لهذه الجوانب التي عمد اليها توفيق الحكيم في كثير من ثرثراته التي يفيض بها اكثر الذي كتبه من وحي الواقع او الخيال الصناع الذي وهبه الحكيم ، وعمرت به مادته التي عف عليها الذباب ، وان كانت قد طرحت في هذه الخرائب بعدما ظهر على مسرح القصة ، التأمل والحساسية والاخلاص والصدق والموضوع .

وفي الحق ، ان الماماات السحرتي بفن المسرحية ، ليست عفوية الموضوع في كل اتجاهاته ، او مراميه ، او رسم الشخوص ، او وقع التأثير . فالمسرحية فن تعاوني يرتبط بعضه ببعض ، او هي الاشتراك العملي في كل مضمون تنبني عليه المسرحية من اول بنائها الى آخر مظهر في منظرها الذي تختتم به .

والسحرتي بما له من تجارب ، يرسم خطوط المسرح، ويوجه لهذه العناصر المأخوذة بهذا البناء ، ويخص الكاتب المسرحي بشيء من هذه التوجيهات التي يجب ان تكون العنصر الفعال في كتابة المسرحية . « فأول خصائص الكاتب المسرحي ، هو جريان المسرح في دمه ، وتناول المواقف الدرامية بالكلمات المقولة لا المكتوبة ، والنفاذ الى سيكولوجية الشخوص ، وفهم سيكولوجية الجمهور، وكيف يثير التفاته ويجعله في يقظة من اول الرواية لآخرها ، او كما يقولون : يجلس في اثناء مشاهدة الرواية على حافة كرسيه . »

ولقد ضرب الناقد ، عديدا من الامثلة على تخلف المسرحيين في هذه الناحية ، ونكوصهم عن ثقافة المسرح، وضيق افقهم بهذه الايديولوجية الغريزية للمسرح . فالناس انما ينظرون الى الكاتب على انه رائد من الرواد ، وشجاع لا مهادن ، تضيء شعلة المسرح في نفسه ، قبل ان تضاء للمتفرجين الذين ينتظرون الشجاعة والحيوية ، والذوبان في هذه الانفعالات المتجاوبة .

على ان الامثلة التي اتى بها الكاتب في هذا الاستعراض، لا تخلو من درس متعمق لكل الذين يكتبون للمسرح ، او يتناوبون العمل له ، وان كان في هذا الحشد من الامثلة ما يغني عن الحاجة التي تعوز العاملين في هذا الحقل الحيوي الجبار ، الذي كان يعوز الناقد السحرتي ، ان يشرح تخلف هذه الفلول التي لصقت بالمسرح ، وعملت له دون وعي الا من هذه المناقضات التي وقع فيها توفيق الحكيم في كثير من تصميماته التي بلغت أوج الشهرة في بعض الاحايين ، واجتاحت في زمانها هذه الاطر التي حالت بينها اليوم وبين الذيوع ، او المجد الذي اصابته في غفلة من النقد ، او استهانة بعقل الجماهير ، او خلو الميدان من الطليعة التي يحسب لها اليوم الف حساب .

ولقد أبان الاستاذ السحرتي عن ثقافته بهذه الكشوف التي ظهرت في كتابه : « الفن الادبي » الذي تناول فيه الترجمة من حيث هي ، وضرب امثلة حية لهذه السيكولوجية التي القت الاضواء الساطعة على الجوانب الخفية المظلمة في حياة المترجم لهم في كل مناحي الحياة التي عاشوها ، او ركنوا الى مهادنتها ، او انفعلوا بتياراتها المختلفة التي كشفت عن بعض الجوانب الكامنة في حياة هؤلاء ، غير ان الاستاذ السحرتي ، قد عنى بابراز هذه الناحية عند الغربيين وان كان قد مس هذا الجانب عند كاتب او اكثر من الشرقيين الذين يتزعمون هذه الناحية ، او كان لهم فيها توجيه او ارشاد ، او سلوك ، او انبهار في فترة من فترات التاريخ ، او ريادة من تلك الريادات التي برزت في السطح ، او طفت على وجه الثقافة دون الوصول الى الاعماق .

ولكن الواقع الذي لا مهرب منه ، ان الفترة الاخيرة من هذه الحقبة التاريخية قد كشفت عن ولوع بهذا اللون في المشرق ، وابانت عن بحاث ارتضوا هذه الالوان الزاهية ، وان كانت مسحة المجاملة تغلب على كثير من هذه المترجمات التي برزت في هذا الربع الاخير من هذا القرن الذي خلا كله من هذه الناحية التأملية ، الا من بعض الدراسات التي جمعت في كتاب او اثنين ان اردنا التحديد ، او تجاوزنا عن هذه المجاملات التي لعبت هذا الدور الخطير فيحياة الادب، وتأريخهذه الحقبة منالتاريخ

ومهما يكن من امر ، فالاستاذ السحرتي ، لم يخل كتابه : « الفن الادبي » من مضامين الذات ، او البروز في الدفاع ، والشعور في الامانة التاريخية ، والنزاهة والانتصاف عندما يعرض لفن التعريف بالكتب الذي غشي الصحافة ، وظهر واضحا في رصائف المجلات التي تبنت هذا الضرب من ضروب الادب ، واصبح من مستلزمات رسالتها الفكرية التي تجرى وراءها في حرص واهتمام.

على ان هذا الفن ، لم يخل من توجيهات السحرتي ، وان كانت توجيهات قمينة بالدرس والمتابعة . اذ ليس التعريف الا نوعا من المصادقة لكتاب ، وتقديمه للقاريء ، فلا يقول ما يشاء ، بل ما ينبغي ان يقال وحريته في التعريف مقيدة .

« والذي يثير الشجى حقا ، تعرض كثير من المعرفين لالوان من الفن لا يفهمونها . فمعرف بالشعر ، لم يهذب ذوقه ، ومعرف بالقصة ، لم يعرف لها اصولا ، ومعرف بالدراما ، لم يثقف قيمها ، فلا جرم اذا شاهت اغلب التعريفات ، وعزت عن انصاف المؤلفين ، وخدمة التأليف والحركة الفكرية في مصر والبلاد العربية . »

والواقع ، ان الفنية في تذوق السحرتي لهذه اللمسات من انفع الضروب التي لمعت في رسالة النقد التي توخاها هذا الكاتب في طروقه لهذه الموضوعات التي رغب في تبيان مضامينها ، والسلوك بها مسلك الدراسة النافعة ، والبعد بها عن المنازعات التي قد يعتورها الغرض ، أو تدخل في دور المماحكات الرخيصة ، لذلك كانت الرسالة الشعرية الفنية ، تشمل هذه المادة والمحتوى والحقائق والفكرات التي ينتظمها هذا التناول من كل الوجوه في درجة الامتياز أو النبوغ او العبقرية .

فرسالة الشعر الموضوعية في راي السحرتي ، تتجدد بفكرات العصر ومعتقداته واشواقه وآمالـه ، ورسالة الشاعر ، هي اهتمامه بالوعي الجديد ، وصلاته بمجتمعه وناسه ودنياه ، وما يعج فيها من احداث . هذه الرسالة لم تعد تهتم بالمناجاة او المسامرة أو المناغاة ، او التعبير عن الخواطر والعواطـف الفرديـة ، والالام والاشواق واللواعج . غير ان هذا التحول من ميدان الذاتية الـى الميدان العام ، او الى الميدان الانساني ، غنـم مزدوج للبشرية وللشاعر نفسه في تقوية شخصيته ، وتوسيـع آفاقها ، وتقدم للبشرية كلها يعود بالنفع العميم على الادب بشتى شكوله ، ومختلف اغراضه .

والذي يثلج الصدر ، ان الاستاذ السحرتي ، الذي عايش الادب ، وارتاح الى التوجيه ، وتطلعت نفسه الى البناء ، لم يذب وسط هذه الاعاصير التي تهب على البناء الفكري في فترات الركود ، او تجتاح هذه البنايات في عصور الانقضاض ، ولم يمح اثر دراساته في هذا الازدواج الذي سرى في العربية ، انما كان هاديا لهذه السفن التي تتلاطم والموج الصاخب في تيارات الثقافات المتناوحة التي دخلت غازية لغتنا ، لولا هذا البناء الراسخ ، وهذا التوجيه الراشد ، وهذه الذات التي يصطرع على محكها كثير من الاراء بعدما تتبين الرشد ، وتصدم بهذا السياج الموضوعي في كل الاغراض .

على ان دراسة النقد لكثير من فنون الادب ، حرية بهذا الذهن الفاحص ، المتامل ، المستقصي ، الشامل ، لا سيما في هذه الحقبة التي نعيشها ، والتي تحدد مركزنا بين هذه الاحكام الادبية المستوعبة لكثير من الوان الادب واشكاله على ضوء من النظرات المتسعة التي سملت هذه الطاقات الكبيرة التي عمل لها ، وعاش من اجلها ، الناقد الواعي : مصطفى عبد اللطيف السحرتي .

القاهرة — أبو طالب زيان

افكار حزينة

عدنا اليك يا صديقنا ،
عدنـا من السفـر
مسيرنـا ضجر
وقوفنـا ضجر
وتائهون في الدروب كالبشر
وضائعون في الدروب كالبشر
لا نعرف القرار في حياتنا ،
ياكلنـا الضجر
عدنا اليك يا صديقنا الصدوق ،
قـد عدنا من السفر

يا ايها الصغير لا تصرخ ،
فقلبنـا حزيـن
يتيه في بحر بلا حدود
لا يعرف القرار
مسيرنـا ضجـر
وقوفنا ضجر
يا ايها الصغير لا تصرخ ،
فان الضوء في النهار
اقسم في الليل بان يعود
لكنه عـاد بـلا انبهار
كسندباد عـاد دونما محار
ودونمـا نظـر ..

يا ايها الصغير كان في مدينتي صديق
يشكـو مـن الضجـر
وكـان يكـره المطر
وكـان يبكي .. كـان يبكي ،
دون صوت او دمـوع
وغادر المدينة الجوفاء عل في السفر
مـا يطرد الدموع عن فؤاده العليل
مـا يطـرد الدموع والضجر
لكنه عـاد ـ صديقي ـ في مساء
كسندباد عـاد دونما محار
ودونمـا نظـر ..

مسيرنا ضجـر
وقوفنـا ضجـر
يا ايها الصغير قد اتعبنا السفر !

العراق ـ الحلة — علي الحسيني

اغلقت قلبي ...

***

عبر الاثير سمعت صوتا حالما كندى الزهور
يسري برقته الاليفة في والضمير ... !
لكنه بعد الاوان أتى مثيرا للشعور
أغلقت قلبي رغم ما يبدي على حبي الكبير

ذكرتني بالليل اقضيه بأحلى ذكرياتي
بالسحر من شفتيه ألوانا كهمس الهمهمات
وبقلبه الخفاق في صمت الليالي الحالمات
وشعوره يزجيه ألوانا كسحر الامنيات

ذكرتني ذكرتني .. بعبارة الحب الرفيقه
(اني أحبك) قالها : (مئة وعشرا) في الدقيقه
واذا ابتسمت وقد بدا اني اشك بذي الطريقه
يبكي ويقسم قائلا والله تلك هي الحقيقه

كم قالها آمنت بالحب الذي قد كنت أنكر
علمتني ان الهوى العذري أجمل ما أفكر ...
ولساعة بين الحنان أمامها الالام تصغر
وأهيم في دنيا حنانك في خيالي والتصور

ولكم مسحت بدفء حبك في حياتي عبرتي
غيرت في ظل الحنان وظل حبك نظرتي
أحببت أيامي وليلاتي وساعة خلوتي
ونسيت من حولي وما حولي بظل حبيبتي

أتظنني أنساه او ينسى على طول الزمان ؟
لكنه قدر تحكم في المصير وفي كياني
اني أعيش بقصة حيرى وكم منها أعاني
قد عشت بين سطورها رمز المودة والتفاني

لا تقس في حكم علي وتتهمني بالجمود
وتقول شاعرة غدت تحيا بقلب من حديد
وعواطف جمدت وصارت في البرودة كالجليد
همساتها يا للأسى ذابت وكانت كالنشيد

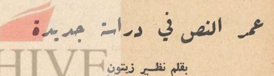
قل ما تشاء فانني أحيا بأخيلتي وحيده
الا من الذكرى وقد طافت بأفكاري الشريده
ومقارنات الحاضر القاسي وليلاتي البعيده
وخواطر سالت على بعض الصحائف في قصيده

فاذا أنا أغلقت قلبي بالصدود فلا تلمني
وارفق بقلب مخلص قد عاش بالذكرى يغني
لم يبق في دنياي غير حطام قلب ضل عني
رفقا بمن تحيا على الذكرى وليس على التمني ! !

مصر الجديدة — روحية القليني



نظير زيتون



عمر النص في دراسة جديدة

بقلم نظير زيتون

سعد صائب رائد من رواد الجمال ، ينشده في كل ارض، وفي كل فكر، وفي كل قلب ، وفي كل عين ومضت فيها اشعة خفية لا يراها سوى الحكماء . والجمال محسوسا وغير محسوس كالشمس لا ينتمي الى قطر معين او شعب معين ، ولا يتميز به قوم دون آخرين ، وانما هو منتشر هنا وهناك، يتجلى في هذه البقعة بمقدار كما يتجلى في تلك بمقدار ، اي انه شائع مشترك وان اختلفت درجاته وومضاته ، وتباينت سماته ولفاته .

وآية سعد صائب انه لا يطل على الجمال المنشود من باب دون اخر . ولا يتلمسه في مكان محدود ، ولا يحصر بصره في زاوية واحدة لا يتعداها ، ولا يرسل شعاع العقل والقلب في اتجاه مرصود فيقنع به ، ولكنه يطلق بصره في كل افق ، وفي كل سماء ، وفي كل اديم معطاء، نمنمه الربيع بزخارف الفن الوضاء ، وخضبه بتهاويل الالوان والضياء . ومثله في نشدان الجمال ، مثل المؤمن الذي يرى في الحكمة ، وهي ابنة الجمال العذراء ضالته يتلقفها انى وجدها ، دون تمييز بين هنا وهناك ، وهذا وذاك ... انه ينشد الجمال في وطنه العربي الكبير . في شلاله الزاخر النمير . في جبله الشامخ المسحور . نجي النجم المبهور ، ونداء الكبرياء في صدر الصخور .

ينشده في واديه العميق المهجور ، وفي سهله المتضوع المحبور ، وفي غابه الراقص المخمور ، وفي رمله المتأوه المقهور .. ينشده في الصين والهند ، والشرق والغرب، ويطلبه حيثما تراءى له ولاح . لا تثنيه بحار وبطاح ، ولا تصده زعازع ورياح . انه يخوض معركة الجمال . وهو الهدف وهو المثال .

وينشده في اعماق نفسه فيغوص فيها ليأتينا بكنوز من جواهر الفكر والقلب والروح . كما ينشده عبر الحدود فيحمل الينا روائع الادب واللب ، ترفل في حلل، باذخة من بلاغة العرب . ويتلفت يمنة ويسرة في مجاني الابداع والازهار، ليقع على روضة معتدلة الاطيار والازهار. متأرجة الانسام والظلال والثمار . وكأن نضرتها نضار. واماليدها عود واوتار . فاذا تنفس الفجر الزهار ، خلعت الشمس غلالتها والدثار . وارتمت في غدرانها تستحم وتطفىء من وجد ونار . واذا اقبل الليل وجد الهوى واستبد الشوق بالاقمار. غاصت في الغدران وفي الصدر زفرات واسرار . واغاريد واشعار . وفي الافواه ماء واوار. وما كان الحب الا روح الكون نظامه الحكيم المختار.

هذه الروضة الفناء ، الظلية الافياء ، الانيسة المعطاء. المتدلهة المتبتلة العذراء . الرفافة الزهراء . هذه الروضة التي دلاؤها قمراء ، وقمراؤها ومضة من رؤى الانبياء . هذه الروضة التي نضرت فيها النعماء . وتهادت القافية الورقاء ، على وسوسة الحلبة الخضراء . وحفيف الهمسة البحاء . لقيها صديقنا سعد صائب كما لقيناها في ديوان الشاعر الدمشقي الدكتور عمر النص (الليل في الدروب) وكم في الليل من دروب . وكم فيه من خيال مشبوب ، وكم فيه من انوار وطيوب ، وآلام ونحيب . وآمال تهز القلوب ، وضباب وشروق غروب. ووهم طروب، وسراب لعوب . وقدر مكتوب محجوب ... ولقي ايضا هذه الروضة الفتانة الهدباء في «كانت لنا ايام» اي الديوان البكر الذي صاغه الدكتور عمر النص واحكم صياغته فجاء قلادة شعرية في جيد الفصحى .

قلادة حفلت بكل ما يفترف الابصار ، من جلال ورواء، وبكل ما يرنح الافكار . من سحر وصهباء . وبكل ما يفتن الاسحار . من الوان واضواء . وكأنك تسمع نجوى المزمار. ايام سقى الغمام الماء. فانتشى الضياء. واستوحى الاشعار و «كانت لنا ايام» ايام عرار في الحب وغار . فاذا هي حداء ونداء واصداء ...

سعد صائب ولا اغلو ، رائد من رواد الجمال الاصيل، يقف امامه وملء فيه تكبير وتهليل . ولا يلبث ان يصوره بقلمه الحفيل . فتحس الرعشة في الحرف النضير البليل . والدهشة في المعنى البهري الاثيل ، نعم ، وفي كنوز الفكر والقلب والروح سر يستضيء بنبراس عقول ويستهدي بنجم رفاف معطار الذيول .

فتح سعد صائب بصره وقلبه على الشاعر عمر النص

في ديوانيه «كانت لنا ايام» ، و « الليل في الدروب » ، فجاءنا بدراسة ادبية عميقة للشاعر الكبير الذي اثر الظلال الكثيفة في الخميلة الوادعة ، على انوار الشهرة وضوضائها المتصارعة .

في هذه الدراسة الماتعة التي عنوانها « شاعر معاصر » بحث وتحليل وتعليل ، وفيها استدلالات ومقارنات واستنتاجات ، وفيها نظرات ولمحات واشارات . وكان سعد صائب في كل ما اعتصره واستقطره نقادة بصيرا وجهيذا نحريرا . فكشف عن مواطن الجمال في روائع الشاعر المتنوق ، وما انطوى عليه قلبه من حب متدفق . ودل على آفاق مكوكبة طار في فضائها خياله المتألق . وعلى معان جليلة رفلت في اللفظ الرقيق المتأنق . واستجلى كنوزا في فن الشاعر المتدمشق واستكشف جوانب وجوانب عن شاعرية هذا الصداح المصفق ..

وغاص سعدصائب فياعماق الشاعرعمر النص ليكشفلنا عن الينابيع الثرة التي فاضت في نفس الشاعر وذاتيته فانتهل منها وعب وارتوى ، فشدا كما يشاء له الابداع ويهوى . ويذهب سعد في دراسته الى ابعد من بحر القلب والحب والذاتية ، فيلقى في شعر النص ثلاثة من عظماء الآلهة الاسطورية هم كوبيد اله الحب ، وفينوس الهة الجمال (الجسدي) ومينرفا الهة الحكمة ، اي ان الشاعر جمع بين القلب والفن والفكر وهي ثالوث الابداع في الشعر . والصحيح ان سبر اعماق البحار اصبح هينا سهلا بفضل الاجهزة العلمية التي تقيس هذه الاعماق وترتادها وتنقب فيها وتسطو عليها ، اما ان نسبر اعماق الشاعرونرتادها او نحدد تخومها وسمتها، ونكتنه مجاهلها واسرارها ، فأمر اعسر من عسير او هو مستحيل مهما يكن ميزان النقد دقيقا واجهزته حساسة فعالة ، ونوره ساطعا ناقدا . ذلك ان الشعر ومضات من قبس النبوءة ، أو هو الهام خارجي موصول بذاتية الشاعر الذي يزفه في اطار من الفن رائع . واداء اخاذ جامع . وجرس موسيقي ماتع ، الى انتفاضات لوامع ، ونبضات تهز المسامع ، وانطلاقات لها سموات النفس مرابع ، وربما كان الشاعر نفسه ، اول من يعجز عن سبر اعماق نفسه واستكشاف اغوارها واسرارها . وحسب النقادة الجهبد ان يتلمس بعض جوانب هذه « الذات المطلسمة » ويستعرضها بأمانة وصدق ، ليصيب نجاحا باهرا .

ويرى الدكتور شكري فيصل في المقدمة البليغة التي كتبها لدراسة سعد صائب في « شاعر معاصر » ان ميزات قصائد الدكتور النص ثلاث ، وهي « ميزات لا يكون الشعر شعرا الا بها . اولاها سلامة اللغة واستواء الشكل على وجه ليس فيه شيء من الابشار والتكلف والتحذلق. وثانيها فكرته التي تعيش وراءه . وثالثتها صورته التي تستطيع ان تجلو الفكرة والانفعال في قالب شعري » .

ولا شك ان الدكتور شكري فيصل ما نبّه على سلامة اللغة بنوع خاص ، مع ان سلامة اللغة هي من البديهيات والاوليات التي يجب ان تدرك بالسليقة وعفوية الخاطر، نقول انه ما نبه اول ما نبه على سلامة اللغة ، الا لان فريقا من شعرائنا المحدثين ، ضربوا بسلامة اللغة عرض الحائط، وعبثوا بأصولها وقواعدها ، واستعملوا الالفاظ بغير معانيها ، وهجنوا الفصحى بالعامية او ما يشبهها كلما أعوزتهم الفصاحة . وعمدوا الى التركيب الغريب غير المأنوس وبرقشة التعبير كلما ضاقوا ذرعا بالوزن والقافية، وعكفوا على الاحاجي والالغاز في الاستعارات وسواها كلما اعجزهم وضوح الفكرة ، ولنترك دعاة الشعر الحر ومقاطعه وتفعيلاته المختلفة بين قصيرة وطويلة ، وهو بالفه ويائه وأبيه وامه واصله وفصله ، أجنبي قح مستورد من الخارج ، ودعامة بيننا (مقلدون) تقليدا رخيصا . والحديث عنهم يطول ..

ويحتج هؤلاء العابثون بالتجديد والتطور، وانما التجديد معناه الافضل والاجمل ، لا الاسهل والاهزل ، وانما التطور معناه التبحر والتبصر ، لا التعثر والتدهور ... ثم ان الاجادة لا تسلم بالنسخ ، والابداع لا يستقيم بالسلخ ، والخلق لا يلقى طريقه بالمسخ ..

* * *

ولقد قرأنا مختارات سعد صائب التي انتخلها من ديواني الشاعر عمر النص وكانت هذه القراءة اول العهد بقصائده ، فرأينا انه اصاب بيانا نضيرا ، وخيالا بصيرا . وسبكا وتصويرا ، ووشيا وتلوينا وتعطيرا ، وتنغيما وتعبيرا ، وما أيسر ان تلمس في شعره الترف .. ترف المعاني والمجاز والاستعارات ، والسراوة .. سراوة الفكر والاداء والاشارات ، والبراعة .. براعة الرصف والوصف والنظرات . ورأيته انه اكرم المرأة وارتفع بها فما ابتذلها كما ابتذلها شعراء الشهرة المستهترون . وصلى في معبد الحب ، فما صوره شهوة جسدية متسعرة كما صورها شعراء الغريزة الجنسية الغاوون ...

ورأيته ايضا انه اصيل في شعره معنى ومبنى وصورة. لا يقتطف ولا يختطف ولا يلتقف ، كما يصنع بعض صاغة الشعر ، واذا لقينا في منظوماته ما يمكن رده الى هذه المدرسة او تلك ، فهذا لا ينفي عنه الاصالة التي تتجاوب مع كل جمال داخلي وخارجي .

غير ان افق الشاعر في موضوعاته التي طرقها كان محدودا لا يجاوز انفعالاته النفسية وتجاربه الذاتية في دنيا القلب وما يجاورها من تخوم معينة ، وكنا نود لو تخطاها الى دنى اخرى ، فحرام ان يحصر عبقريته – وما اخصبها واسخاها – ويسد عليها في ما يشبه القمقم ويقول – لقد انتهيت ...

والشاعر متضلع من اللغة العربية ، عليم بدقائقها واسرارها . بصير بألفاظها وتعابيرها ، وهو الى هذا مرهف السمع وصيرفي نقاد يحس ما يرن في اللفظة من لمعان

وصفاء ومدى . وبستاني مفنن ينسق الزرع والغرس ، والانغام والالوان ياقوتا ولؤلؤا وزمردا . ويسقي عباهر تشابيهه واستعاراته وكناياته نورا وعطرا وندى . هي صفات اذا اجتمعت في شاعر ، اعجزت سحر الساحر ، وائملت النجم الساهر .

ولكن الشاعر المبدع على تبحره في اللغة وتبصره ، كما قلنا ، لم يسلم من الوقوع في بعض هفوات ذاعت وشاعت على الاقلام . واذا اشرنا اليها فمن باب توفية النقد حقه وتنزيهه عن الهوى .

فمن ذلك قوله « والذكريات فديتك افتكري » وافتكر اي فكر وتفكر عامية وقوله « اهيم خلالها فتهي سدود » وفي مكان آخر « ادق فتنهار السدود على الثرى » والسدود جمع سد بضم العين وهو السحاب الاسود الساد للافق . والشاعر يقصد جمع سد بفتح السين وضمها اي الجبل والحاجز بين الشيئين وجمعها اسداد وفي اساس البلاغة (ضربت بينهما الاسداد) .

وقوله « تحدق في الليل المخوف فترتمي » وفي مكان آخر « حدقت بي فرايت مقبرة تطالع مقلبته » وهو يعني النظر لا الاحاطة ، والصواب حدق اليه اي حدد النظر اليه . وقوله « أغدا يضفرون اشواك ايامي ويلقون بالورود سوايا » وانما يجمع الورد بفتح الواو ، وهو المشموم المعروف على اوراد ووراد . اما ورود فجمع ورد بكسر الواو وهو الجزء من القرآن القطيع من الطير والجيش والنيصب من الماء . كما في القاموس المحيط .

وقوله « .. فيا كبدي انفر جراحك انه القلب » ونفر فعل لازم وقد استعمله الشاعر متعديا ، وكانه يريد ان يقول : يا كبدي اجعل جراحك نفارة اي جياشة بالدم سيالة به .

واستعمل الشاعر الجر للخد في قوله

«انـا للنجوم اضم زرقتها واجر فوق بريقها خدي »

وليس لجر الخد فوق البريق من وجه ، لا مجازا ولا حقيقة . فالخد ليس ذيلا او ما يشبهه حتى يجر .

ويلوح لنا ان الشاعر مولع بترديد فعل (جن) وقد اكثر من استعماله في قصائده على شكل يلفت النظر فقال : ٢ — جن صبري فهل تحل وثاقي .. ٢ — جن صبري فمن يحل وثاقي .. ٣ — جن الظلام واقفر الدرب ، وقد رددها ثلاث مرات في قصيدة « الليل » ٤ — بعثت بها الي فجن شوقي ٥ — ووثن جن به الناس ٦ — وجن في الاروقة الخرس غراب كمد ٧ — هو الحلم جن على ناظري ٨ — واي غد جن مما نضيق ٩ — يا لكافرة ، جنت ضفائرها على زندي الخ ..

وهذا ما احصيناه في منتخلات سعد صائب وحدها من ديواني الشاعر .

والشاعر كما قلنا متضلع من اللغة العربية واذا كانت قد فاتته هذه الهفوات ، فذلك من باب السهو . ثم كثيرا ما تقع بعض البلغاء في اخطاء تستدرج اليها الكتاب والشعراء اعتمادا على سلامة لغتهم .

وليس لنا بعد هذا الا ان نثني على صديقنا الاستاذ سعد صائب ، اذ اتاح لنا بدراسته العميقة المسهبة «شاعر معاصر » وهي المؤلف الذي قرانا اصوله منسوخة على المكتاب « الالة الكاتبة » نقول اتاح لنا ان نتعرف بشاعر عربي ، النحار ، وجداني الاطار ، رومنطيقي الفرار ، باذخ الشعار ، وبقي علينا ان نتساءل — متى تطبع هذه الدراسة، وتبرز في كتاب ؟

ان المؤلف الجدي الرصين المشرق ، يعاني ازمة النشر بعدما طفت الكتب المهلهلة السخيفة وراجت الدواوين المعربدة العابثة ، واتسعت سوق القصص والروايات الخليعة المتهافتة . وبعدما عكفت دور النشر ، وهي في معظمها تجارية على ايثار ما يروج ويدر الكسب المادي من امثال هذه الكتب التي يبرأ منها الادب والفن والخلق .

« شاعر معاصر » كتاب رصين جدير بالنشر والقراءة . فرج الله ازمة نشره بنفحة وفية ويد ندية واطلقه من الديجور الى النور برعاية عبهرية ..

حمص — نظير زيتون

المداخن

الريح تلعب بانفاس المنازل
تسحبها تارة الى الشمال واخرى الى اليمين
كانها الحاوي يطلق الدخان ليخفي الاعيبه
المداخن فوهات سوداء
تطلق آهات البيوت المكتومة
اما الانسان فاين هي مدخنته ؟
تتراكم فيه الهموم ببطء
ويغلف قلبه هباب اسود ، يتراكم ويتراكم
حتى يحيل القلب الى كتلة من الفحم
ثم ياتي يوم يقولون ان فلانا مات ...
لم يدروا كيف مات ...
انهم لم يشاهدوا كيف سقط قلبه ،
قلبه المتفحم ، قبله
مسكين أيها الانسان
انك منزل
بدون مداخن

حلب — تيماء الناصر

في ممر معتم طويل

بقلم جورج سالم

حين اشار عقربا الساعة الى الثامنة طويت اوراقي واغلقت الملفات ، ثم وضعتها كلها في الادراج . ونهضت بتثاقل، وانا اشعر بالتعب والارهاق، بعد عمل طويل مستمر ابتدا منذ الساعة الثانية ، واخرجت علبة الدخان وتناولت لفافة منها ، وفي اصابعي شيء من التشنج لكثرة ما ضغطت على قلم الحبر ، فاشعلتها وارسلت زفرة طويلة خرجت محملة بالتعب والارهاق . وخطوت خطوات بطيئة متأنية ، وذهني غائم وفكري شارد .

قلت في نفسي : هائنذا قد دفنت يوما اخر ايضا فالحمد لله على كل حال !

كنت في ذلك الحين اعمل موظفا في مكتبة عامة تابعة لمديرية تضم عددا كبيرا من الموظفين والمستخدمين، وكان لا بد لنا جميعا ، اتباعا للقوانين المرعية ، من ان نوقع على سجل الدوام ساعة مجيئنا الى العمل ، ووقت انتهاء الدوام .

خلفت المكتبة ورائي ورحت اهبط سلالم المبنى متأنيا وانا التهم الدخان التهاما ، وحين بلغت الطابق الارضي، حيث يربض دفتر الدوام ، كانت اللفافة على وشك الانتهاء . في تلك اللحظة ، وكنت اسير وحدي في ممر طويل ، لمحت فتى صغيرا لا يكاد يتجاوز العاشرة من عمره يتقدم نحوي ، فلم استبن منه الا عينين مليئتين فيهما كثير من الحدة والقسوة ، ووجها شاحبا نحيلا لا يكاد يستر الجلد فيه العظام .

تساءلت في نفسي بشيء من اللامبالاة :

– « عجبا فيم مجيء هذا الفتى الان وقد اغلقت المكتبة وانتهى الدوام ؟ ! » ولمحني الفتى فهرول نحوي .

قلت له :

– نعم ، ماذا تريد ؟ لقد اغلقت المكتبة الان وانصرف القراء .

– لا اريد ان اقرأ !

كان وجهه ينطق بالحزم والجد وقد ارتسمت في عينيه معالم التصميم والثقة .

واضاف توا :

– اريد ان ارى المدير او معاون المدير .

فاضحكني طارق الليل هذا ، ولم اكلف نفسي عناء النظر الى ضوء غرف الادارة .

– ليس المدير او معاونه بموجودين هنا .

– والموظفون ؟

– ليس في المديرية احد .

– واين ذهبوا ؟ ؟

فتبرمت منه ، وكانت اللفافة قد انتهت فرميتها على الارض ووطأتها بعصبية ثم نظرت اليه وقلت له وانا احاول التخلص :

– لقد ذهب الجميع لتعزية موظف مات ابوه !

فاطرق قليلا . وشعرت انا بأن هذه النكتة سخيفة ولم أعرف ما الذي حملني على القائها .

ثم التفت اليه فجاة وقلت له :

– لا شك انك عامل المطبعة .

لقد ذكرت في تلك اللحظة ان المدير قبل انصرافه قد اوكل الي ان ارسل الى المطبعة نموذجا عن بطاقة دعوة لمحاضرة ستلقى بعد اسبوع في مديريتنا حول العدالة الاجتماعية .



واضفت قولي :

– لقد تأخرت قليلا يا فتى ، فقد ارسلت الدعوة الى المطبعة منذ ساعة.

ولكنه نظر الي بدهشة وهز رأسه:

– لست عاملا في المطبعة .

والواقع ان ثيابه كانت انظف نسبيا من اثواب العمال الذين اعتاد صاحب المطبعة ان يرسلهم الينا ، رغم ما يبدو عليها من هلهلة واهتراء.

عند ذلك اهملته ومضيت الى دفتر الدوام ، وظل هو في ذلك الممر الطويل المعتم الخالي من النوافذ والكوى .

حثثت الخطا فسار خلفي ببطء ، وبرز له في اول الممر آذن المديرية الكهل بوجهه الاملس المتحجر قال له الفتى :

– هل المدير هنا ؟

فاجابه الآذن بصوته الابح :

– كلا

– فمعاون المدير اذن .

– غير موجود .

– االنت احد الموظفين ؟

فعيل صبره وقال له :

– نعم . ماذا تريد ؟

قال الفتى بسرعة كتلميذ يسرد درسا حفظه غيبا :

– اريد ان اقابل المدير او معاونه ليوظفني هنا . انني اجيد الكتابة وخطي جميل .

كنت قد اخرجت قلمي وامسكت به وشرعت اوقع . فتسمرت في مكاني وانا منحني الظهر كانني اصبحت تمثالا من الصخر .

صمت الآذن برهة كانت كالدهر في طولها ، ثم رفع اليه عينين قاسيتين :

– عمرك ؟

– انا اكبر اخوتي الخمسة سنا.

فعاد الآذن الى اطراقه . ومرت فترة اخرى نظر اليه الآذن الكهل بعدها من عينين ترتفعان عن قامته باكثر من متر .

– شهادتك ؟

– ابي مريض . مريض جدا .

احببت

* * *

احببت في عينيك وجه السما   من غير عينيك بها الهما ؟
تموج الحسن... فيا زورقي   خف لجة السحر الذي فيهما
جزائر خضر وراء الرؤى   الله ما احلى ، وما انعما
جعلت منها للهوى مرتعا   وللمنى .. يا للمنى .. مغنما
وكاد يعصى القلب ايماءها   لكنه سرعان ما استسلما
اتحمل الري ونعمى الهوى   يا بحر عينيها ، واشكو الظما
لا تمنعي عني اللمى واسمحي   خلقت للنجوى ورشف اللمى
قال الصبا : خذ للهوى زاده   من ورد خديها ، وقبل فما
حكاية التقتير مكذوبة   من علم التقتير ، من علما ؟
ما اجرم المسرف في حبه   من لم يمت في حبه اجرما
لولاي .. لولا الحب، يا مريمي   ما كنت ، في نعمائها ، مريما
لولاي .. لولا رغبة في دمي   من نسق الثغر ، ومن غنما ؟
أيخلق الله لعيني الضيا   ولم اقل : ويل الدجى والعمى

يا حسنها.. لو لم تكن حسنها   من اولع القلب ، ومن تيما ؟
شكوت قلبي للهوى عندها   من خلع القلب ، ومن حطما ؟
لولا النعيم الحلو في ثغرها   للحب ما صلى ولا سلما

يا طفلة الروح ، تعالى الهوى   في قلبك الطفل ، فلن يأثما
لنا على درب الصبا ملتقى   حلو ، وفي مهد الهوى مرتمى
قد هيأ الحب لنا موسما   يا حلوتي ، فلنقطف الموسما
لم يبق يا حسناء بعد الصبا   الا بأن نكبر او نهرما

بانياس ـ اللاذقية   **احمد علي حسن**

وكل الناس يعرفون ذلك .

كنت قد كتمت انفاسي حين بدا الفتى يتكلم . وظللت كذلك الى ان انتهى من سرد قوله فتنفست تنفسا طويلا .

ثم نظرت الى الآذن فاذا هو صامت ولست ادري اية قوة لجمت فمه فلم يتكلم ولم يسأل ولم يناقش على عادته بل ظل يرنو الى الفتى بعينين كأنما قدتا من البؤس وظل كل منهما ينظر الى الاخر برهة ما ، بينما كان الآذن يحرك خاتم زواجه الفضي والفتى يخفي جيب سترته الممزق بيده الصغيرة .

قال الفتى اخيرا :

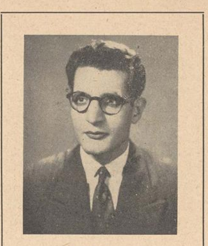
ـ من الضروري ان ارى المدير ، من الضروري ان اراه ، فسيعينني كاتبا لا محالة ان خطي جميل !

نظر اليه الآذن الكهل دون ان يظهر على وجهه اي انفعال او يرتعش منه جفن ، ثم اخرج رزمة المفاتيح من جيبه بتؤدة ، واقترب من مفاتيح النور فراح يدير الواحد تلو الاخر وبدات العتمة ترين شيئا فشيئا في المر .

تطلع الفتى امامه فراى المر وقد اصبح اشد طولا مما كان ، واكثر عتمة وظلاما من قبل . وظل فترة يحدق في هذا المر المعتم الطويل الخالي من النوافذ والكوى ، والآذن واقف من بعيد مطرق صامت ممسك مفتاح باب المديرية بيده .

اطبقت غطاء قلم الحبر بشدة ، وضغطت عليه بأصابعي ، ثم اشعلت لفافة جديدة وسرت في طريقي ..

حلب   **جورج سالم**



محمد رجب البيومي

عبد الرحمن الجبرتي مؤرخ حر نزيه

بقلم محمد رجب البيومي

* * *

العاقبة للحق ، قضية صادقة، تبرهن عليها حوادث الدهر، وتنطق بها حوادث التاريخ ، وسيرة الجبرتي دليل ثابت يؤكدها ابلغ تأكيد ، فقد وقف الرجل حياته على الانصاف والعدالة فيما يسطر من حادثة او يروي من عظة ، والمنصفون في كل زمان هدف للعسف البالغ ، والاضطهاد الاثيم ، ومن الطبيعي ان ينال الجبرتي ما يترصد زملاءه الصادقين من بغي وتهديد ، بل ان ما ناله في حياته وبعد مماته كان اعنف قسوة مما لحق سواه ، فقد عاش الرجل في ثلاثة عهود مختلفة ، تعاقبت مندثرة بما لا يقره العنف والارهاب ! فرصد نفسه لمناواة الباطل مناواة سافرة صريحة !!

عاش في عهد المماليك الغاشم فراى المسرح الرهيب الذي تمثل عليه ادوار السلب والنهب والاغتيال ، وشاهد الدسائس والمؤامرات تحاك في غبس الظلام ، حتى اذا انبثق الصبح تفجرت عن مآسي نكراء تتفتت لها الاكباد ، وعاش الرجل في عهد الثورة الفرنسية ، فأرمضه ان يرى اعداء بلاده يلوثون مياه النيل بمآثمهم الفاضحة ، ويحاربون مبادىء الاسلام بما يريقون من خمر ، ويعطلون من شعائر ، وينتهكون من حرمات ! وكانت ثالثة الاثافي ان يستبشر خيرا بتولية محمد علي . نزولا على رغبة الشعب . حتى اذا تمكن من سلطانه انقلب على شيعته ، ومثل الادوار السابقة التي قام بها سابقوه ، فاغتال وسلب وذبح وارهب ، والمؤرخ الحزين يرى الايام لا تتمخض الا عن كل منكر اثيم ، فلا يسعه الا ان يسجل ما تقع عليه عينه ملتزما نزاهة المحايد ، وعدالة المنصف !! والحاكمون من الطغاة لا يقنعون بغير الثناء الكاذب والاطراء المموه ، فاذا نظروا الى صحيفة اعمالهم في مرآة الجبرتي ، فانما يتفجرون غيظا ، ويثورون انتقاما وحفيظة ، وينصبون من مخاتلهم الحاقدة ما يحيل الحياة في عيني صاحب الحق ظلاما دامسا تتخلله العقارب والهوام ، وتكتنفه المخاطر والحتوف ، وهكذا كانت حياة الرجل ، لاسيما في عهدها الاخير ، فقد ترصدته مكايد محمد علي حتى ختمت حياته ختاما اليما ستتعرض له آخر هذا البحث ببعض التفصيل.

مات الجبرتي !! ولكن الارهاب لم يكف عن اضطهاده في قبره ، فقد اضرمت النيران في منزله ، لتأتي على كل ما سطره من مسودات تفزع وتخيف ، ثم امتد الارهاب الى كتابه فصودرت مخطوطاته ، ومنع تداوله ، واوعز الى المنافقين من الكتاب بنقده وتجريحه ، وقد يتحذلق ناقد مغرض فيقول ان كتابة الجبرتي ليست تاريخا تربط معه الحوادث وتبنى المقدمات عن النتائج ، وتسلط عليه اضواء التشريح والتحليل ! كأن المفروض في الجبرتي ان يتبع طريقة القرن العشرين فيما يخط من احداث ! وقد فات هؤلاء ان الرجل قدم الوثائق ، وذكر الوقائع ، واسلف من اليد على الناس ما اسلف ابن الاثير والمقريزي وابن اياس والسخاوي ، وعلينا نحن ان نأخذ من موسوعته الحافلة ما نأخذه من موسوعات قرنائه المؤرخين ، دون ان نفرض على الرجل شروطا تأباها طبيعة العصر وثقافة الجيل .

ولولا ان بعض المكتبات الفرنسية قد احتفظت بنسخ من يوميات الجبرتي ، ما استطعنا ان نقرأ تاريخه الحافل!! فقد ساعد قيام الثورة العرابية على نسخ صورة ، وطبعها كما كتبها المؤلف في اربعة اجزاء متخمة مكتظة ، ذات حجم رائع ، ورسم حافل ، ثم توالت الايام وكتاب الرجل لا يلقى ما يستحقه من التنويه ! وسهام النقد تصوب الى اسلوبه المتواضع ، وما يشوبه من عامية ركيكة ، واساليب هابطة ! ولو سلك الجبرتي مسلك ادباء عصره في التزام المحسنات الزائفة ، واصطناع التشبيهات الملفقة ، ما امكنه ان يقدم صورة امينة من واقع مصر ، كتلك التي قدمها في سفره الجليل ، ولغرق القارىء في كناية واستعارة ، وسجع وجناس وطباق ، دون ان يجد المرآة الصادقة ، والصورة الصحيحة ، لامد واسع من تاريخنا العزيز .

والآن فقط ، وبعد قيام الثورة الاخيرة امكن لتاريخ الجبرتي ان يأخذ مكانه اللائق ، فنهض الكاتبون للحديث عنه منوهين ، واقتبس الناشرون من حوادثه الخالية صحائف يقرأها الناس مقدرين مغتبطين ، واندفع المخلصون

الى كتابة حياة الرجل كتابة منصفة ، ترفع عنه اوضارا كثيرة مما صحبه من عنت الدهر وزيف الايام ، وهكذا يقدر الجبرتي وتاريخه بعد ليل دامس ، بطيء الكواكب ، حالك الجنبات ، بل هكذا يظهر الحق من محنته الغاشية ، ناصع الوجه ، مؤتلق الجبين ، فترددت الارجاء بهواتف حارة جائشة تجأر في قوة وايمان بان العاقبة للمتقين !!

اما كيف نشأ الرجل ؟ وكيف اندفع الى كتابة تاريخه ؟ فذلك ما سنعرج عليه في هذا الحديث! كان حسن الجبرتي والد عبدالرحمن من كبار علماء الازهر الذين الموا بدراسة علوم اللغة والتشريع ، ولو انه قصر اطلاعه على ما يتناقله زملاؤه في دروسهم الازهرية من نحو وفقه وبلاغة وتفسير، لكان عالما كمئات العلماء من نظرائه ، ولكنه اتجه الى دراسة الرياضة والمسائل الفلكية . فانتشرت له براعة خاصة تسمه بسمات تختلف عن ألوان زملائه ومعارضيه ، كما تدفع فريقا من التلاميذ الى التشبث باساتذته والتعلق بدروسه، وقدساعده على اجادة مسائل الحساب والهندسة ما اندفع اليه من حياة علمية، هي التجارة والمضاربة اقرب منها الى المذاكرة والتحصيل .

فقد ورث الاب عن اهله وزوجاته ضياعا ومنازل ومتاجر، وخالط سيلا مزدحما من العملاء ، ممن يساهمون في تنمية ثروته وانتاج محاصيله ، فكان اتساع افقه الحيوي باعثا على تضلعه في علوم الحياة وفنونها المختلفة ، وقد اتجه الى الموازين والمكاييل فأخذ بضبط مقاييسها ، ويعيد السلامة الى مختلها ، ولم تدفعه الى ذلك رغبة في الثراء ، وطمع في الاكتساب ، بل ان الموهبة الكامنة في اهوائه كانت تتطلب متنفسا فسيحا ، في ضبط المختل ، واقامة المنحرف ، كما يندفع الرسام الى تصوير مناظره ، وتنميق لوحاته ، دون ان يعرضها في سوق عام للربح والاتجار ، بل ليشبع رغبة ملحة تتطلب المنافذ المتعددة للاشباع ، وقد ساعده ثراؤه الطائل على مزاولة موهبته في فرحة واغتباط ، كما جذب اليه هذا اليسر الوارف فريقا كبيرا من زملائه ومريديه فكانوا يغشون منازله ، ويلمون بحلقاته تارة لاستماع الدرس ومناقلة الحديث ، وطورا للراحة والمطعم في مأوى فسيح ، ومكان كريم ، وذو الثراء في كل موطن قبلة الانظار ومراد الآمال .

في هذا البيت الزاخر بالنعيم والرفه ، والحافل بالعلماء والفقهاء ، ولد عبدالرحمن ونما عوده الاخضر نموا هادئا مسعدا ، يجد حظه في الري الدائم ، والتربة الخصبة ، ذات الهوى البليل ، وقد استقبل الوالد طفله استقبالا فاترا حزينا ، اذ ان الرجل قد تعود ان يستقبل الاطفال من قبله ليعيشوا في كنفه عاما او عامين ثم يعجلهم الموت عن استكمال حظهم في الحياة ، وقد دفن الاب الثاكل خمسة وثلاثين مولودا قبل عبد الرحمن من زوجاته وسراريه ، دون ان تسعده الايام بوليد يخطئه الموت ، وكان يعلل ذلك بان نطفه تنحدر من صلبه غير متكاملة فلا تلبث ان تعجل بالرحيل ، واذ جاء عبد الرحمن توقع ابوه نهايته القريبة ، فلم يشأ ان يفرح بمصباح سينطفىء شعاعه بعد قليل ، اضف الى ذلك ان الوليد الجديد من احدى سراريه لا زوجاته ، وهو بهذا ناء عن القلب والعين من ولد الزوجة الحبيبة !!

ولكن القدر اخلف ظن الرجل ، فعبر وليده السنوات المتتابعة دون ان يتطرق الى عوده الغصن ذبول وجفاف ، ونشأ منشأ غيره من اولاد العلماء يحفظ القرآن والمتون ، ويلم بالمدارس والكتاتيب ، حتى اسلمته الطفولة الى اليفاع فكان له في حلقات الازهر وفي دروس والده، وفي مذاكرة من يغشون منزله من العلماء ، ينبوع متدفق يفيض عليه بالعلم والادب والسداد ، وكان الغلام الناشيء ذا استعداد طيب للبحث والافادة فأثمر ذلك كله في عقله اخصب الثمرات !!

تثقف عبد الرحمن بثقافة عصره ، وانتفع بأحاديث والده عن زملائه من العلماء واصدقائه من امراء المماليك ، ووجوه الدولة واعيانها ، فعرف كثيرا عن أحوال مصر ، وامكنه ان يلم بسياسة رؤسائها الماما يختزن في ذاكرته، ثم يتسرب الى اطوائه ، حتى طوى الموت اباه ، فترك له ثراء طائلا من متاجر واطيان وعمارات ، واورثه صداقات رفيعة تمت الى وجوه العلماء وصفوة الرؤساء ، وقد اضطر الشاب ان يتفقد املاكه بنفسه ، فرحل عن القاهرة الى طنطا وكفر الزيات والمنصورة ودمياط والاسكندرية ورشيد ، وفي كل بلدة يحلها يجد من يحادثه من الاعيان والعلماء ، كما يخبر طبقات الشعب المختلفة من حكام وفلاحين وصناع وعمال ، فعرف بلاده معرفة شخصية ، وسبر الاغوار القاصية في الاعماق والسرائر ، ورجع الى القاهرة ، وقد صلب عوده ، وغزرت تجاربه ، واتسع نطاقه في الحياة !

واصل الشاب دراسته بالازهر ، حتى اصبح عالما مرموقا يستمع اليه التلاميذ ويقصده العلماء ليعيدوا سيرتهم مع ابيه ، وقد فرح العالم الثري بمنزلته الكريمة. وفسح بيته لارباب العلم، واعلام الازهريين، ووثق صلاته بمن يلمس فيهم الوجاهة والرفقة من علية الناس ، كما اكب على خزانة والده ، كي يستتم علوم الفلك والهندسة والحساب ، ووقر في ذهنه ان يعيد سيرة الوالد ، فيتبعه في طريق حياته ذراعا خلف ذراع !!

ولكن رجلا كبيرا يفد الى مصر من اليمن فيرسم لعبد الرحمن آفاقا جديدة يجذبه الى التطلع اليها في شوق واندفاع ، فيقبل الازهري الشاب على استاذه ، وقد شاهد فيه طرازا خاصا لم يعهده !! رآه يختلف اختلافا بارزا عن علماء الازهر في التفكير والتأليف والملبس والاتجاه ، وقد احرز قبول العقلاء وارتياحهم ، فتوافد الطلاب على مجلسه وسعى الامراء الى منزله ، وقبل الساعون بين يديه الارض تقبيلا لا يكون لغير الخلفاء

والامراء !! ذلك هو العلامة الكبير السيد ابو الفيض المرتضى الزبيدي البحاثة اللغوي الجهير !!

لقد كان تأليف الازهريين لعهد الجبرتي دائراعلى شرح المتون وكتابة الحواشي ، ووضع التقارير ، فالمتن اصل يتفرع عليه ما يليه من حاشية وهامش ، لا يختلف ذلك في علم من العلوم ، فأنت تراه في الفقه والنحو والاصول والمنطق والتوحيد ، وانت تسمعه كذلك في حلقات الدروس اذ يدور الجدل حول المتن ، كنص مقدس ، تلتمس التأويلات الشاسعة الى ما يتطرق اليه من وهن في لفظ ، او خطأ في تقرير قاعدة ، ثم تدور الحرب الجدلية حول هذه التأويلات ، من معارض يدحضها بالحجة الى مؤيد يدعمها بنص آخر ، او تخريج محتمل!!

على ذلك سارت حركة التأليف في الازهر ، وفي غير ذلك سار العلامة الزبيدي في دروسه بالمساجد ، وتأليفه في الكتب ، فقد كان يدرس فقه اللغة ، وفصيح ثعلب ، وادب الكاتب ، دون ان يلحقها بحواش وشروح ، كما اخرج معجمه الفذ (تاج العروس) نمطا فريدا في عصره وموطنه ، وادب مأدبة حافلة للعلماء حين أتم تأليفه ، فقوبل بالثناء والاطراء !!

أراد هذا العالم البحاثة ان يترجم لاعلام القرن الثامن عشر من العلماء والامراء والوجهاء فيصل ما انقطع مما قام به صاحب الضوء اللامع ، وصاحب خلاصة الاثر وصاحب سلك الدرر ، وغيرهم من أصحاب المراجع التاريخية ذات الدوي البعيد ، ولم تكن للزبيدي . كضيف نازح خبرة واعية برجال مصر ، وأعلامها في القرن الذي ينتوى الحديث عنه ، فتفرس خلطاءه ، حتى اهتدى الى عبد الرحمن الجبرتي ، فكاشفه بدخيلة سره ، وأمره ان يشمر معه في البحث عن آثار الماضين فيزور أصدقاء والده ، مسجلا أحاديثهم عن الرجال ، كما يدلف الى الصكوك والحجج في مسجلات القضاء ، ويطالع النقوش فوق القبور وعلى المساجد والاثار ، ثم يتصل باقارب المتوفين من ذوي الجهارة والنفوذ ، فيجمع من حياتهم ما تفرق ، ويضم من تاريخهم ما تناثر ، واذ ذاك يمكنه ان يقدم لاستاذه مددا حافلا من المعلومات ، والانباء !!

وقد كان حديث الرجل غريبا عن عبد الرحمن في بدئه فلما ضرب له المثل ، وناقش معه الفكرة ، ورسم اليه الطريقة ، وجد الشاب عقله وقلبه يتجهان اتجاها اكيدا الى كتابة التاريخ ، ودراسة حياة الرجال ، واصبح التفكير في ذلك شغله الشاغل ، وهمه المقيم ، وجاوز النظر الى العمل فاندفع يرى ويسأل ويستمع ثم يسجل معلوماته راجيا ان يقطع الليل المنسدل بين عينيه الى صباح مشرق يسعد باجتلائه في شغف وارتياح !!

لقد انصرف الشاب الى عمله الجديد انصرافا كاد ينقطع به عن التدريس في الازهر، فلم يعد يجتمع التلاميذ في حلقته الا لماما ، وعكف على تسجيل الاخبار والحوادث يجمعها من المعمرين ، فانشأ صداقات جديدة لاناس يعلمون من خوافي الامور في الماضي ما يضع في يده الحقائق الكثيرة !! واخذ يدون معلوماته في صحائف متناثرة ، ثم يجمعها كما سطرها اول مرة دون تعديل ، ويبعث بها الى شيخه الزبيدي ، مرتاحا لجهده النشيط.!!

وفي غمرة اجتهاده المرهق وافته الانباء المحزنة بوفاة استاذه الملهم فاضطرم عليه حزنا واسفا ، وفكر في مشروعه التاريخي، وقد احدقت به نذر الفشل والتثبيط، ولكن هواتف نفسه تنبعث في ظلمات التردد مرنة مجلجلة فتدفعه الى الامل والكفاح ، ولا سيما بعد ان عثر في بيت فقيده الراحل على جميع مدوناته ومخطوطاته التي سبق ان أرسلها اليه ففرح بها فرحا زائدا ووجد في محتوياتها سجلا رائعا لعهد تصرم وانقطع ، اذ دونت من حوادث المماليك ما كاد يغيب عن الاذهان من كل كبيرة صغر امرها مع الزمن فلم تعد غير خاطرة تعبر ، او ذكرى تحين ، وقد كانت في ابانها كارثة مروعة ، ومأساة ذات اثر اليم !!

على انه انقطع عن البحث فترة تلمس بها الهدوء والاستجمام ، ولكنه انقطاع المشوق الآمل الذي ينتظر اقتطاف الثمرة في حينها المتاح! وقد يهتم الانسان بأمرها، ثم يخيل اليه في ظاهر امره انه قطع صلته به ، وجنح الى شيء سواه ، ولكن عقله الباطن لا يعترف بظاهره الزائف، فهو في اطوائه البعيدة ، يجمع ويدخر ويحفظ ويكنز ، حتى اذا امتلأ وطابه بما حواه ، انتقض على صاحبه فأجبره في غير هوادة على الاذعان التام الى اشواقه وميوله ، وقهره على تسييل ما اكتنز وادخر ، وكذلك كان الجبرتي ، ! ! فقد خيل اليه انه انصرف عن مدوناته . وهو في حقيقة امره يرصد احداث زمانه ، ويدخر مشاهداته وتجاربه ، وقد اتجه الى نوع آخر من التأليف، فاختصر تذكرة داود الانطاكي في الطب ، وتعرض الى نقد كتاب الف ليلة وليلة ، بدافع لا شعوري من شغفه بالتاريخ اذ ان الكتاب في جوهره تاريخ اختلط فيه الواقع بالخيال والوهم بالحقيقة !! وقد ترك الجبرتي بهذا وذاك مخطوطاته السالفة ! لكن الى حين .

مضت الايام في سيرها الرتيب ، حتى حان وقت تدفقت فيه الجيوش الفرنسية ، في حملتها الشهيرة على مصر ، وتحكم نابليون في القاهرة بأسلحته ، وجنوده وعلمائه تحكما قلب المسرح السياسي قلبا مفاجئا ، فبعد ان كان المماليك يمثلون ادوارهم الفاجعة في عبث واستهتار ، غدونا نجد الضباط الفرنسيين يقومون بأدوارهم الجديدة في صرامة جازمة ، وتصميم اكيد ، ورجل كالجبرتي قام بتسجيل الحوادث ، وتقدير الرجال لا يسمح لقلمه ان يقف مكبلا في دنيا تزاحمها الكوارث . وتفترسها الاهوال ، فترك مهاد الدعة والجمام ، وطفق يسجل ما يراه ، ويسأل عما وقع بعيدا عن عينيه وهو في تدوينه يمحص الروايات ، ويزن الامور ، فيختار — قدر

طاقته – ما يجده اقرب الى منطق الحوادث ، وأدنى لواقع الاحوال ، وقد تكاثرت لديه الوقائع ، ووجد من عبر لياليه وعظات دهره ما يتقدم به للاجيال اللاحقة سجلا رائعا ، وكتابا حافلا ، وقد راى بغريزته التاريخية ان يلتفت قليلا الى ما سجله عن الماضي ، فعكف على تبييض مخطوطاته من جديد ، لتكون صحيفة الامس مقاربة في تسلسلها واطرادها ، ما يخطه في صحيفة اليوم ، وقد أجمل المؤلف خطته في سطور ننقلها باسلوبه عن مقدمة كتابه اذ يقول :

« كنت سودت اوراقا في حوادث آخر القرن الثاني عشر وما يليه ، واوائل القرن الثالث عشر الذي نحن فيه، جمعت فيها بعض الوقائع اجمالية ، واخرى محققة تفصيلية ، وغالبها محن ادركناها ، وامور شاهدناها ، واستطردت في ضمن ذلك الى سوابق سمعتها ، ومن افواه المشيخة تلقيتها ، فأحببت جمع شملها ، وتقييد شواردها ، في اوراق منسقة النظام ، مرتبة على السنين والاعوام ... الى امور شاهدناها ثم نسيناها وتذكرناها، ومنها الى وقتنا امور تعقلناها وقيدناها ، وسنورد ان شاء الله ما ندركه من الوقائع بحسب الامكان ، والخلو من الموانع ، الى ان يأتي امر الله ، وان مردنا الى الله ، ولم أقصد بجمعه خدمة ذي جاه كبير ، او طاعة وزير وامير ، ولم اداهن فيه دولة بنفاق ، او مدح او ذم مباين للاخلاق » .

هذا منهج الجبرتي ، فهو لم يقصد مجاملة امير ، او طاعة وزير ، ولم يداهن دولة بنفاق او مدح او ذم يتجافيان عن الاخلاق ، ونحن وقد قرأنا كتاب الرجل نجده قد تمسك بما عاهد عليه القراء ، في مقدمة كتابه ، بل نجده صادف كثيرا من العنت والارهاق في سبيل هذا المسلك الصريح !

لقد تحدث الرجل في جزأ من كتابه (الاول والثاني) عن عهد المماليك فذكر في دقة ما لمسه من اساليب المشاحنة والمنافسة بين الرؤساء والاتباع ، والم الماما مسهبا بدسائس الامراء والسناجق ، وتكالبهم على المال والجاه، وفصل مصارعهم الرهيبة ، وما جلبوه على مصر من محن ونكبات ، ووالى طعناته الدامية الى محمد جركس ومراد وعلي الكبير فبين كيف كان اتباعهم يأخذون ما يحبون من الباعة دون ثمن ، فاذا امتنع احد التجار قتلوه ونهبوا متجره ، وشرح كيف كانوا يخطفون النساء والغلمان ويدخلون منازل الناس ثم لا ينصرفون حتى ينالوا الثياب والغلال والاموال ، وكيف تجرأ هؤلاء الاوغاد بتحريض امرائهم على نهب مصوغات الذهب والفضة من الصاغة وغصب نفائس الحلى من صدور النساء في الحمامات ، بعد التهجم عليهن هجوما آثما ينكره الاسلام وتأباه الاخلاق !!

يا لله ، لقد تمخضت هذه الفترة الدامسة من عهد المماليك في مصر على أسوأ ما تتمخض عنه الايام البائسة ذات المحن الدامية ! والكوارث الشداد !! وقد حرص الجبرتي على رسم مناظرها القاتمة دون ان تلجئه المجاملة الزائفة الى السكوت عن قوم تربطهم بوالده تارة ، وبنفسه اخرى ، روابط الصداقة والضرورة ، فقد كان علي الكبير ومحمد ابو الدهب وغيرهم من الامراء على صلة طيبة بأسرة المؤرخ ، وعلائق المودة كانت وما تزال مراد التجاوز والاغضاء ، الا عند من يرصدون انفسهم لتمحيص الحق الجرئ بعيدا عما يكتنفه من ملابسات ذاتية ، والجبرتي – بلا ريب – في طليعة هؤلاء !!

وحين نسجل للرجل انصافه الدقيق للمماليك ، لا نجد مناصا من تسجيل انصافه الصادق ، لاعضاء الحملة الفرنسية ، اذ ان الخلق العريق يطبع صاحبه بطابعه فلا يميل به الى بخس او تطفيف مهما اختلفت السلعة في الكفة رخصا وغلاء ، وكان الظن بعبد الرحمن ان يقصر حديثه في تصوير الكوارث المتلاحقة التي جلبها الاجنبي الدخيل على قوم مسالمين !! فيميل بالرصد الى ما ارتكبه الغزاة من تدمير ونسف وتقتيل ، وما فرضه المحتلون من ضرائب فادحة تثقل الكواهل وتقصم الظهور ، وما امطروا به المساجد والمنازل والاسواق من قنابل وصواعق بعثت الموت والهول في النفوس ، وما انتهكوا به الحرمات المقدسات ، اذ هجمت الخيول على اماكن العبادة ، وحلقات العلم ، تلطخها بقاذوراتها الدنسة وتزعجها بصهيلها المنكر، وفوارسها المناكيد فوق ظهورها المسرجة يشربون الخمور امعانا في الكيد ، ومبالغة في التبجح والاستهتار !

أجل !! كان الظن به ان يقتصر على تسجيل هذه الفضائح المخزية دون ان يلمح من زاويته الخاصة موضعا لتقدير واعجاب ، ولكن الانصاف يفرض عليه ان يعترف للقوم بأنهم بذلوا جهد الطاقة في مجاملة المصريين وتحسين احوال البلاد ، فوزعوا الصدقات ، واحترموا المواسم الدينية ، ومنعوا دفن الموتى في المقابر القريبة ، ورجعوا الى كثير من رجال مصر بالمشورة ذات الاصغاء والتنفيذ، وما اضطرهم الى ما وقعوا فيه من العسف ، غير ما لمسوه من التجمع فالتحرش فالاستفزاز ، وقد اطنب الجبرتي في وصف الروح العلمية التي اذكتها الحملة الفرنسية في المجتمع المصري ، اذ وصف مكتبة المجمع الفرنسي والم بتفصيل ما شاهده من علماء الحملة في تجاربهم الكيمائية، مما كان موضع اندهاش الازهريين من العلماء ، ولنترك الرجل يتحدث بذلك في فقرات نقتطعها من كتابه بأسلوبه لتكون ابلغ في الدلالة على دقته وانصافه من ناحية ، وعلى دهشته وتحيره امام معجزات العلم من ناحية ثانية !!

قال الجبرتي : « وفي بيت حسن كاشف جملة كبيرة من كتبهم ، وعليها خزان ومباشرون يحفظونها، ويحضرونها للطلبة ومن يريد المراجعة ، فيتصفحون ويراجعون ويكتبون ، حتى اسافلهم من العساكر ، واذا حضر اليهم

بعض المسلمين ممن يريدون الفرجة لا يمنعونه الى أعز اماكنهم ، ويتلقونه بالبشاشة والضحك ، واظهار السرور بمجيئه اليهم ، ولا سيما اذا راوا فيه قابلية او معرفة او تطلعا للنظر والمعارف ، بذلوا له مودتهم ومحبتهم وقد ذهبت اليهم مرارا واطلعوني على ذلك » .

ثم يقول الكاتب في وصف بعض التجارب العلمية « ومن اغرب ما شاهدته ان بعض المتقيدين اخذ زجاجة بها ماء، ثم صب عليها شيئا من زجاجة اخرى ، فغلا الماء ، وصعد منه دخان ملون ، حتى انقطع وجف ما في الكأس ، وصار حجرا اصفر فقلبه على البرجات حجرا يابسا ، اخذناه بأيدينا ولمسناه ، ثم فعل ذلك بمياه اخرى فجمد حجرا ازرق وبأخرى فجمد حجرا احمر ، ياقوتيا ، واخذ مرة شيئا دقيقا من غبار ابيض ، ووضعه على السندال ، وضربه بالمنطقة فخرج له صوت هائل كصوت القرابانه انزعجنا منه وضحكوا منا » .

وهكذا نجد تاريخ الحملة الفرنسية مسطورا بخيره وشره ، وانت تتلمسه واضحا فيما كتب الجبرتي ، وقد حفظ التاريخ لنا كتابا آخر سطره « نقولا الترك » اللبناني والفرق ما بين الاثنين واضح !! فالاول مع تسطيره جميع ما يعلم عن الفرنسيين قد اهتم بحوادث الشعب في كتابه اهتماما لم تفته الدقة والانتباه ، والثاني قد سجل ما لمسه عند رجال الحملة الفرنسية والجاليات الاجنبية الاخرى بحكم اتصاله الوثيق بأولئك وهؤلاء ، دون ان يتوسع في تشخيص التيارات المتجاذبة في طوائف الشعب المصري .

وقد اخذ بعض الناقدين على الجبرتي انه هرب من القاهرة الى الغربية عند قدوم الحملة الفرنسية ، فلم ير اذ ذاك ما يسجله عن الحملة الا سماعا ومناقلة دون مشاهدة ومعاينة ، وليس الخبر كالعيان ، !! وفات هذا الناقد ان سفر الجبرتي حينئذ لم يتجاوز عشرة ايام رجع بعدها الى القاهرة ، وهي مدة ذات حوادث بارزة لا يمكن ان تمر دون ان يتحدث بها الناس شهورا طويلة ، فاذا سمع الرجل وكتب فانما يتحرى الواقع في أهله ، والصدق عن ذويه ، وهو لذلك يقول : « ولا اكتب حادثة حتى اتحقق صحتها بالتواتر والاشتهار ، وغالبها من الامور الكلية التي لا تقبل الكثير من التحريف » .

مضى الفرنسيون فانقضى برحيلهم عهد باد وتصرم ، واستقبلت مصر عهدا آخر سيطر فيه محمد علي على الدولة بعد قلاقل ثائرة ادت الى مبايعته ، وقد بدات متاعب الجبرتي ــ بهذا العهد الجديد ــ تزداد وتتجهم ، فالمؤرخ المنصف كان في ماضيه يقول الحق دون ان تتبعه الارصاد والعيون ، اما الان فقد تعذر عليه ان يجد متنفسا لقلمه في امد تتحكم به الفردية الطاغية ، تحكما ظاهرا ، ولو اغمض عينيه قليلا لخان رسالته . وهاجت عليه نوازعه بالتأنيب والتقريع ، ماذا عسى ان يصنع ؟ لقد صمم على ان يجتاز طريقه الوعر مهما امتلأ بالاشواك والصخور !! ومهما تعرض الى مهاد سحيقة يكتنفها الويل والثبور !!

وبدا الرجل يسير ، فاعترف اولا ــ جريا وراء انصافه الدقيق ــ بما قام به محمد علي من اعمال هامة كاستعمار الاراضي البور ، وانشاء المصانع ، واعداد السفن ، وتشجيع وسائل التجارة بين مصر وغيرها من الاقطار ، واستحضار آلات النسيج الحديثة حتى قال في التعقيب على بعض اعماله « وهذه الفعلة من أعظم الهمم الملوكية التي لم يسبق بمثلها » ولكن هذه الحسنات لا يمكن ان تتجرد مما اكتنفها من سيئات ثقال ، فمن الحتم الاكيد عليه كمصور صادق ان ينقد موجة الاغتيال التي غمرت الشعب تنفيذا لسياسة ارهابي جريء !!

كما ان واجب المؤرخ الا يغفل الحديث عن اشتعال الغلاء اشتعالا كاد ان يسلم الشعب الى مجاعة دهياء ، وكان اليما ان يغدر الباشا بأولياء نعمته ، فيقلب ظهر المجن للسيد عمر مكرم ، وطائفة من افاضل العلماء والاعيان ، وقد جعل من مصادرة الاموال سيلا ينحدر دافقا الى خزائنه ، مما ضيق الخناق على اصحاب المتاجر والمصانع ، فاخذوا يتنفسون في جو خانق كريه ، وجنود الباشا المسلحون يجددون مآسي الفرنسيين فينتهكون الحرمات، ويتباهون بالمعاصي، ويعبثون بالمتاجر والاسواق، بل ان نجل الباشا ابراهيم يقتدي بأبيه فيصب غضبه الظالم على الرعية صبا رهيبا سجله الكاتب حين قال :

« ثم سافر ابراهيم راجعا الى الصعيد ، ليتم ما بقي عليه لاهليه من العذاب الشديد ، فقد فعل بهم فعل التتار، عندما جابوا بالاقطار ، واذل اعزة اهلها ، وليس ذلك ببعيد على شاب جاهل سنه دون العشرين عاما ، وحضر من بلده ولم ير غير ما هو فيه ، لم يؤدبه مؤدب ، ولا يعرف شريعة ، ولا مأمورات ولا منهيات » .

انها الجراءة الصادقة تدفع الرجل الى تأنيب القساة من الطغاة ، ولو تضافرت الاقلام على انصاف الحق ، ما وجد طاغية يتبجح بالمظالم ويخوض في الشهوات ، دون ان يسمع غير الاطراء الكاذب ، والرياء المقيت ، وقد كان الجبرتي جريئا ، فلم يكتف بتسطير المظالم دون تعقيب ، بل راى من حق التاريخ عليه ان يشفع مخازي الآثمين بتنديد فاضح يزكي الحفائظ ويلهب الصدور ، في وقت يوجد به اناس يجعلون من هذه المثالب محاسن زائفة !! وجلائل حافلة لا تتعلق بها الآمال !! وخيال الباطل فسيح مديد !!

ذاع نقد الجبرتي ، وتناقل الناس ما سطره عن محمد علي وابراهيم ثم اشياعهما من الاصهار المتجبرين كمحمد الدفتردار ، وسليمان اغا السلحدار وكلاهما كان طاغوتا رهيبا لا يذر من شيء يأتي عليه ، بل طالما استمد من سلطان الوالي رهبة قاتلة ، تذل النفوس وتلجم الافواه !

فما الذي يكافأ به الجبرتي ازاء صراحته ، في عالم تهون لديه الارواح الانسانية هوانا يلحقها بالحشرات والهوام!!

ان النتيجة الرهيبة متوقعة محتومة ، فلا يعقل ان تنكمش الاحقاد المتجبرة عن فريسة عزلاء ، لا تفزع قوة ولا ترهب نفوذ ، ولا ريب ان المؤرخ كان يعرف تمام المعرفة في اي طريق يسير ! والى اي مهوى ينحدر !! وهنا موطن الاسوة ومجال العبرة !! هنا مكمن العظمة في افراد اماثل ، ! يقدمون ارواحهم قربانا للعدالة والانصاف ، وينصبون اقدامهم مثلا حيا للبطولة والفداء!! ولو لم تكن للجبرتي هذه الروح الرفيعة ، لعاش كآلاف من الافراد – يجامل الطغيان ، ويتملق العدوان ، ويقضي حياة ذليلة ضارعة ، تنتهي به الى موت آسف لهيف ، ويمر مماته الهين مرورا ساكنا شاحبا ، فما بكت عليه ارض ، وما تفتحت لاستقباله سماء !!

اما كيف تمت المأساة ، فقد اختلف فيها الكتاب اختلافا لا نرى داعيا له ، اذا تأملنا منطق الحوادث ، وقارنا الاشباه بالنظائر ، فهناك روايتان متباعدتان ، رواية تقول ، ان حكم الاعدام قد نفذ في المؤرخ بعينه عن طريق الاغتيال في طريق موحش بهيم ، بتحريض من محمد علي وتنفيذ من سليمان آغا السلحدار ، ورواية تقول : ان الاغتيال قد وجه الى خليل الجبرتي نجل المؤرخ ، فتفجع والده عليه ، وكف ما بقي من بصره ، حتى لحق بولده بعد ايام!!

وقد ذكر الرواية الاولى اكثر المصادر الاجنبية وفي مقدمتها دائرة المعارف الاسلامية ، وأيدها الاستاذ احمد حافظ عوض في خاتمة كتابه القيم عن تاريخ مصر الحديث ، وهي في رأينا اقرب الروايتين الى المنطق ، اذ ان محمد علي قد اعتاد ان يتوجه بشره الناقم الى اعدائه المباشرين ، والاب هدف اصيل يجب ان يتوجه السهم اليه ، كيلا يظل عاكفا على تسويد صحائفه ، بما يذيع ويشتهر في دنيا صاخبة ، تتناقل المثالب تناقلا طائرا ، لا يقف في مكان ، او ينتهي عند غاية ، ولا سيما اذا كان تنفيسا عن صدور مكروبة ، وقلوب ممتلئة ، فهي تقضي وطرا هاما من اوطارها ، بقراءة صحائف الجبرتي ، وترى في نقده انشودة ساحرة تهدا لها الخواطر ، وتجذب نحوها الاسماع .

وان طاغية كمحمد علي بطش بأعدائه المماليك ، على كثرتهم الكاثرة في ساعة واحدة ، لهين عليه جدا ان يتخلص من يراع صادق بدون مثالبه وينشر مساوئه في غير تحفظ واكتراث ، ولماذا يترك محمد علي في حياته امدا فسيحا تنفجر به براكين سخطه متأثرا بمصرع ابنه الفقيد – لو صحت هذه الرواية – فيواصل هجومه الثائر عن قلب موتور ، وصدر ملتهب وكبد ذات تباريح ! ان اغتيال الجبرتي نفسه هو الحل الطبيعي الذي يتجه اليه عقل غاضب متجبر كعقل محمد علي ! دون ان يتطرق الى اغتيال سواه مهما عزت مكانته ، واشتدت آصرته ، وعظمت حرمته لدى المؤرخ الدقيق .

على ان الذين يلحقون الكارثة بنجل الرجل ، يجمعون على ان والده قد فقد صوابه اذ داهمه الخبر الفاجع ، وانتفضت عليه علله واوجاعه ، وكف بصره فما يستطيع ان يخط حرفا ، واحاطت به النذر الغاشية من تهديد الوالي ووعيده ، فأخذ يترقب مصرعه بين آونة وآونة ، واقضى أياما حائرة مضطربة ، أهون منها السكون الابدي في حفرة آمنة عزلاء ، لا يدب اليها كيد ، او تنصب حولها فخاخ .

ومهما كان من اختلاف الروايتين ، وتباعدهما تباعدا نفترق نتيجته ، فقد نزل الشر بالرجل ، نزولا عاصفا ، ثم ودع الحياة توديعا مريرا ، دون ان يجد من معارفه من يزفر عليه زفرة رثاء ، او يسكب فوق ضريحه عبرة آسف ، فقد بدد الارهاب الخانق وفاء الاصدقاء ، وعصف بولاء المخلصين ! الا ما كان من همس الشفاه وتساؤل النظرات! وامتد وراء الراحل العزيز ليل حالك دامس تتكشف غياهبه القاتمة عن فجر يومض ثم عن صبح يشرق وينير ، فاذا الرجل بطل خالد ، ومثل يحتذى ، وذكرى تتعطر بها الاجيال ، !! والعاقبة للمتقين .

الفيوم ج.ع.م   **محمد رجب البيومي**

الى امرأة

مدي ذراعيك بوجه النجوم
مدي ذراعيك
نافورة الافراح ما اورقت
الا لعينيك

الاغنيات الشقر عند المساء
تفتح عينيها
ذاهلة تعبر فوق الكروم
حاملة أعماق كل النساء
تبسط كفيها

لو هبت النسمة واهتز باب
لو هبت النسمه
أشم اسرارك دون ارتياب
واسرق البسمه
واغمض العينين بين الثياب
. . . . .
لو هبت النسمه

بغداد   **سلمان الجبوري**

دموع الامل

بقلم فوزي عبد القادر الميلادي

في تلك الاثناء كانت سعاد تقف في ركن منزو من الشرفة التي تطل على البحر ترمق الافق بنظرات شاردة .. كانت تستعرض في مخيلتها صورة ولديها حسن وهشام وهما يثبان من حولها يسألان في الحاح « اين بابا » وهي تذكر جيدا كيف انها في مبدأ الامر حاولت ان تغالط الصغيرين فذكرت لهما ان خالهما محمد هو « بابا » ولكنهما ما لبثا ان عادا بعد ايام ليخبراها بأنهما علما من اطفال الحي انه ليس والدهما وانه خالهما فقط ثم يأخذان



في السؤال « اين بابا .. كل الاطفال لهم بابا » .

واضطرت ان تقول لهما ان والدهما على سفر وانه سيعود في القريب العاجل وهي تعلم في قرارة نفسها انه لن يعود شانه في ذلك شان كل من يرحل عن هذا العالم .

واصبح شغل الطفلين الشاغل ان يسألاها صباح مساء « متى يعود بابا من السفر » .

وكلما لمحا شخصا غريبا يفد على الاسرة هيء لهما انه لا بد وان يكون والدهما قد عاد لتوه من السفر فيتعلقان به ثم ما يلبثان ان يتبينا الحقيقة فينزويان في ركن من المنزل يذرفان دموعهما في صمت ولم يكن ذلك هو كل ما يحز في نفس سعاد، كان يؤلمها ان اصابع القدر تمتد في تلك الايام لتفرق بينها وبين ولديها . .

لقد تقدم لخطبتها كثيرون بعد وفاة زوجها وكان كل منهم يشترط ان تترك ولديها مع جدتهما ولم تكن من جانبها تطيق فراق الطفلين فرفضت كل عروض الزواج ولكن أسرتها رات ان الطفلين يجب الا يقفا عقبة في سبيل سعادة امهما . .

وكان منطق والدتها انه اذا استمرت سعاد في رفض عروض الزواج بسبب التمسك بطفليها فانه سيأتي يوم يذبل فيه جمالها وتتقدم بها السن وينصرف عنها طلاب الزواج ولن يتبقى لها بعد ذلك الا الحسرة . . .

وكان ردها على ذلك انها لا تستطيع ان تحرم طفليها من عطف الام بعد ان حرمهما القدر من عطف الاب وانها تؤثر ان تعيش بدون زواج وتكرس حياتها لتربية ولديها .

وافاقت سعاد من أفكارها وتأملاتها لتجد والدتها بجانبها تربت على كتفها في رفق وتطلب منها مغادرة الشرفة وهمست والدتها في اذنها ان الدكتور مدحت قد حضر منذ دقائق ليطلب يدها وان عليها ان

وقفت الحاجة امينة في النافذة ترقب الغادين والرائحين على الكورنيش بقلق ظاهر وما بين لحظة واخرى كانت تعيد النظر في ساعتها .. وما ان اقتربت الساعة من السابعة حتى اخذت ترقب السيارات المارة في لهفة .. انها تعلم ان سيارة الدكتور مدحت سيارة حمراء صغيرة وهو لا شك سيحضر في سيارته في الموعد المتفق عليه .

ومرت الدقائق بطيئة متثاقلة . . خمس دقائق .. عشر دقائق .. وبدأ اليأس يتسرب الى نفسها ترى هل عدل عن الزيارة .. وهل طرا ما يثنيه عن عزمه .. لقد اطلع على صورة ابنتها سعاد عند احد اقارب الاسرة وابدى اعجابه الشديد بها ولم تخف الاسرة من ظروفها شيئا .. اخبرته بصراحة ان سعاد ارملة في ربيع العمر لها من زوجها الاول طفلان . . .

ولم يعقب مدحت على هذه البيانات بشيء .. فقط طلب ان تتوسط له الاسرة في زيارة لمنزل سعاد .. وتلقت الحاجة امينة هذه الاخبار بسرور شديد ورحب بها زوجها وحدد الساعة السابعة من ذلك اليوم موعدا للزيارة . .

وعادت امينة تسأل نفسها ما سبب تأخر العريس .. ترى هل وجد من يعزيه بعروس اخرى .. ان ابنتها بشهادة الجميع ذات جمال نادر اخاذ لكنها تعلم ان الاهل والاقارب كثيرا ما يفضلون الا يتزوج ابناؤهم من ارامل او مطلقات .. وانبعثت آهة من صدرها ثم اخذت تتمتم « النصيب .. النصيب »

وفي هذه اللحظة ابصرت سيارة حمراء أنيقة تقبل مسرعة وعندما اقتربت من المنزل توقفت امام الباب وأطل صاحبها براسه ليتعرف على رقم المنزل ثم غادر السيارة واغلق بابها واتجه الى المنزل .. كان يرتدي بذلة كحلية اللون ورباط عنق احمر ويسير في تؤدة انه هو الدكتور مدحت نفسه .. انه اذن لم يتخلف عن الموعد .. لقد تأخر قليلا لكن لا عليه .. انها سترحب به وتحسن لقاءه لعل وعسى . .

وغادرت النافذة في سرعة وطلبت من الخادمة ان تكون في استقبال العريس ثم ذهبت تزف البشرى الى زوجها الذي كان بدوره في الانتظار .. لكن اين سعاد .. اخذت تبحث عن سعاد في كل حجرة وتناديها باللقب المحبب لديها «سعدة .. سعدة .. اين انت .. » ولكنها لم تتلق ردا .

تستبدل ملابسها بسرعة استعدادا لمقابلته ..

ونظرت الى والدتها في حزن ويأس وقالت « الم اقل لك الف مرة انني لا اريد الزواج انني سئمت الحديث في هذا الموضوع .. »

واخذت والدتها تتوسل اليها ان تقابل العريس ولو لبضع دقائق حرصا على كرامة والدها الذي اتفق معه على الحضور في ذلك الوقت لرؤيتها وحرصا على مصلحتها هي.. فان مدحت كعريس يعتبر « لقطة » فهو شاب لم يتجاوز الثلاثين من عمره من اسرة طيبة واخلاقه رضية .. وله دخل محترم ويستطيع ان يوفر لها اسباب الهناءة والسعادة ..

وغادرت سعاد الشرفة.. وذهبت الى حجرة نومها حيث استبدلت ملابسها وارتدت ثوبا من الحرير الاسود وصففت شعرها . وبوجه شاحب حزين .. وفي خطى متثاقلة توجهت الى حجرة الصالون وما ان رآها مدحت حتى هب واقفا وتقدم لتحيتها وهو يجيل بصره في هذا الجمال الحزين .

وارتمت سعاد على احدى المقاعد وجلست مطرقة برأسها الى الارض واخذ مدحت يتلطف معها في الحديث فكانت تجيبه .. ولكن بعبارات مقتضبة واشترك والدها ووالدتها في الحديث وشاع في الحجرة جو من المرح فعادت الابتسامة الى شفتيها الذابلتين ولكنها ما لبثت ان اختفت هاربة ، عندما وصل الحديث الى موضوع الاولاد ..

لقد صح ما توقعته سعاد .. لقد سمعت من مدحت نفس القصة المعادة التي سمعتها من كل من تقدم لخطبتها بشأن تخليها عن تربية طفليها لجدتهما .. ولم تطق صبرا ففضلت ان تترك الحجرة في هدوء دون ضجة او جلبة وعندما اقتربت من الباب ابصرت بطفلها حسن يقتحم الحجرة ويقف امامها ليسألها « اين بابا » ولم تكن سعاد في موقف يسمح لها ان تعيد على مسامع الطفل نفس الاجابة المعدة فآثرت ان ترفع ابنها عن الارض وتحتضنه وهي تهم بالخروج من الحجرة.. ولكنه انفلت من بين يديها ووقف امام مدحت يتأمله ثم سأله .. « انت بابا حضرت من السفر .. اليس كذلك » .

ومرت فترة صمت رهيبة .. كانت فترة قصيرة لكنها كانت كافية ليستعرض مدحت في ذهنه خلالها صورة من حياة طفولته عندما تفتحت عيناه على الدنيا ليجد والده ووالدته قد فارقا هذه الحياة الى غير رجعة اثر حادث تصادم .. وتذكر مدحت كيف انه حرم من عطف ابيه وامه منذ نعومة اظفاره وكيف انه كان كثيرا ما يسأل جدته العجوز « اين ماما .. » فلا تحير جوابا .. وتمد يدها اليه بقطعة من الحلوى وتربت على كتفه .. وعيناها مغرورقتان بالدموع ..

وقطع مدحت الصمت بقوله «نعم انا بابا حضرت من السفر» وما ان سمع الطفل ذلك حتى ارتمى بين احضانه واخذ يقبله وهو يقول « لماذا غبت عنا يا بابا .. هذه الفترة الطويلة انك لن تتركنا بعد الان .. لن تسافر اليس كذلك »

فرد عليه مدحت قائلا « نعم .. لن أسافر .. »

وفي هذه اللحظة دخل هشام الحجرة فأخذ حسن يصيح « تعال يا هشام .. هذا هو بابا قد حضر من السفر » انه لن يسافر بعد الان .. سيبقى معنا هنا .. »

واندفع هشام الى حيث يجلس مدحت وفي خفة القط قفز الى ظهره .. واخذ يقبل رأسه وهو يبكي .

ووقفت سعاد تتأمل هذا المنظر ومدت يدها الى منديلها الحريري الصغير تجفف به .. دموع الامل .

الاسكندرية — فوزي الميلادي

من اغانيها

* * *

اليوم ..
جلست الى نافذتي العاشقة
انها تشرف على الدرب
درب ربيعي اخضر
على جوانبه
تفتحت براعم الورد الجوري
جلست
وقد غرست في ضفيرتي ورده
قالت لي أمي عنها :
بانها اجمل ما في الحديقة
وانتظرت
عساك تمر ؟
لانني لم أجد في وردتي
شذاها العبق
ولم المح في زهوها ما يأتلق
كانها جماد
في قلبها حداد
فحزنت على وردتي
وبكى قلبي لاجلها أسفا

*

فيا مبدع الحب
يا الذي بعثتني روحا ..
وكحلت اجفاني بالوان الشروق
مر ..
لولاك لا بلبل غرد
لا ورقاء .. لا ورد عبق
لولاك ،
لم اقطف وردة حديقتي
لاغرسها في ضفيرتي الجميله
مر ..
ففي حناياك شذاها
مر .. ففي وجناتك سناها
فانني لن اغادر نافذتي
ولو جنح النهار

دمشق — اسماعيل عامود



وديـع فلسطين

الغزو التتري لحصون الادب

بقلم وديـع فلسطين

ما هو الادب المتطاول على الايام ؟ ومن هو الاديب الذي ينتسب الى دنيا الادب وينسب الادب اليه ؟

هل كل كلام مقول في الطريق ودور التعامل وندوات السمر ومجالس الطرب ادب ؟ وهل كل عبارة عارضة تصدر عن زيد من الناس ادب ؟ او ان للادب خصائص ومميزات تمت الى الذوق والجمال والفن فتعليه على مرتبة الكلام العادي المقول ارتجالا ، وما اكثر هذا اللون من الكلام المبدد في الهواء ؟

فالالسنة تلوك كل يوم كلاما في كل شأن من شؤون الحياة ، جديها وهزليها ، وما اوفر عدد المتكلمين ، بل ان العالم كله قوم متكلمون من ساعة الصحو الى ساعة الرقاد والهواء مشحون بأمشاج من نتاج الالسنة في كل موضوع وبكل لغة . فهل هذا الكلام الذي لا نعرف له معيارا ولا يسع احدا حصره ادب مصفى حقيق به الخلود جدير بان يبذل في درسه والاحتفال به جهد ما ، او انه نوافل عارية من كل قيمة ادبية ، قد تفيد في قضاء مصالح الناس ، ولكنها من وجهة نظر الادب محض هراء .

واذا كان كل هذا الرغاء ادبا ، فقد صار البشر جميعا ادباء ، لا يستثنى من زمرتهم الا الخرس الذين اعجزهم انعقاد السنتهم عن التعبير بكلام يقع في الاسماع موقع النهم . وعلى هذا القياس تخرج هيلين كيلر البكماء الصماء الكفيفة من حظيرة الادب لانها لا تتكلم الا غمغمات غير مفهومة ولا تشارك الناس في ضوضاء الكلام .

فلا بد اذن من وضع حد بين الكلام الذين يذهب ادبا والكلام الذي عليه تقوم علاقات الناس ومعاملاتهم في شؤون الحياة وشجونها ، ولا بد من التفريق بين الادب الصراح وبين الكلام المرسل في الاسواق ودور التعامل حتى لا يختلط الامر على نقاد الادب والمعنيين به .

والذي ينعقد عليه الاجماع ان كل ادب كلام ، ولكن ليس كل كلام ادبا . فالادب من الكلام ولكن الكلام لا يتعين ان يكون من الادب . فالادب شيء متميز متفرد، والدارج من الكلام شيء آخر . والادباء فئة معينة من الناس تضيق حلقتها او تتسع ، تأدبت لتؤدب وهذبت لتهذب واجادت الكلام لا على ما جرى عليه السوقة ثرثرة ولغوا، بل على ما سار عليه امراء البيان بلاغة وحكمة ونصاعة فكر وجدة معنى وجلاء عبارة واختمار رأي .

والاديب في حياته اليومية الرتيبة المتلاطمة الاغراض يتكلم كما يتكلم سائر الناس، بلهجاتهم وسقطاتهم وعباراتهم المريضة ، فهو من الناس وشؤونه شؤونهم . ولكنه لا يزعم في اي مضمار ان هذا الكلام المزجي ادب. وانما الادب هو ما يتوفر عليه بملكات عقله وأدوات لغته وانطلاقات خياله وسبحات فكره وزخم موهبته فيبدع فيه جديدا، ويضيف الى التراث العقلي او الفني او الفلسفي او الجمالي بالانسانية شيئا من ثمار اجتهاده وملكاته .

ولكل هذا حظ وفير من البداهة الحاسمة ، وما كان اغنانا عن سوقه في محضر الدفاع عن الادب لولا ان المقاييس عراها خلل مستطير « فتشابهت البقر علينا » وصارت حرمات الادب مباحة لكل معوج العبارة اخرق التفكير ساقط المعاني رث الالفاظ. وحتم على من يؤمنون بقداسة الحرف وشرف الكلمة ان يذودوا عن حياض الضاد تلقاء هذا الزحف التتري الكاسح على عرين اللغة ، وان يردوا هذا الضيم ان لم يكن بحرب يشهرونها على ادعياء الادب ، فبسعي لوضع الامور في نصابها واقصاء « الجراد » عن دوحة الادب اليانعة .

وفي ميزان الادب السليم يصحلنا ان نسقط من المجال الادبي كل قول ، مكتوبا كان او مقولا ، اذا افتقر الى فنية العبارة وجمال المعنى المؤدى ، واذا ازور عنه الذوق الادبي المجلو ونفرت منه مقومات رجاحة العقل . فالادب في نثره ونظمه ، وفي مباحثه ورواياته وشعره ، حصيلة فكر نير نشط معنى ، وليس حصيلة ارتجال . ولهذا ينبغي لحماة الادب ان يأتوا بمكنسة كبيرة يكنسون بها الى سل المهملات كل ما يسمونه زجلا وشعرا شعبيا ومواويل وادبا شعبيا وكل ما يكتب باللهجات العامية من قصص ومسرحيات وفصول «بعكوكية» طوال . فمن التهتك المزري بالادب والضاد ان يقال عن الكلام التالي انه ادب او شعر :

منين آجيبها كلمة متألمة
لعبيه فايره حايره ومصممه
منين أجيب كلمة تكون بنت ارض
تشفي اللي ما شفاهوش كلام السما ؟ عجبي !

وهي من «مأثورات» صلاح جاهين الذي يصفه حواريوه بأنه « شاعر » .

ومن الظلم الفادح للبنان وادب لبنان ان تحسب حكايات « يونس الابن » ادبا لبنانيا . فاين سمات الادب في كلام مثل :

وصارت تبوسو ، تفلفشو ، تتأملو
وكل شي فيها بلهفي يسألو ..
ـ « توقي ، لا يتوسخ الفسطان الحلو ،
يا روح سامي . بعدي عني شوي .. »
وام سامي تهزها رعشاتها .

ولكن اشد ما نال اللغة العربية والادب العربي من ضيم في جميع عصور الضاد ، هو ما جاء على يدي صاحب « يارا » الذي أطرح الحرف العربي المبين وازدرى اللغة الضادية الرصينة وألف بلهجة محلية وبحرف لاتيني زاد عليه وانقص وفق هواه . فجاء كتاب « يارا » لسعيد عقل اكبر سوءة في جبين اللغة المضرية في تاريخ نهضاتها وعثراتها . فالكتاب المحسوب على الادب العربي لا يفهمه قارىء عربي ، ربما مع استثناء مؤلفه ، لانه جمع في وعاء واحد ثلاثا من الاحاجي هي : الرمزية واللهجة العامية والحرف اللاتيني المعدل .

ومن الخطأ الفادح ان يحسب كل كلام صحفي ادبا وكل صحفي اديبا . فالصحافة تبيع كلاما مطبوعا والصحفي يكتب مطولات في كل عشية ، ولكن ما لم يبذل في الكتابة جهد عقلي الى جانب الجهد البلاغي فان احاديث الصحف تظل بمنأى عن دنيا الادب . فالصحفي يتلقى وحيه من مصادر تكتنف الحياة البشرية اليومية فيصب آراءه في قوالب محفوظة متكررة هشة العبارة كثيرة الخطأ ، اما الاديب فانه ولو تلقى وحيه من هاته المصادر عينها، فانه لا يسجل خواطره على هذا النحو المهيض ، بل يضفي الى المعاني من آيات الجمال وفنون الالوان والاصباغ ما يكسبها قيمة فنية يقع رونقها في النفس اجمل موقع . ومما يؤسف له ان السطحية التي تتميز بها الصحافة بحكم عامل السرعة ، قد انتقلت عدواها حتى الى المجلات الادبية ففعلت فيها افاعيلها .

ولعل اشد ابواب الادب تعرضا للغزو التتري هو باب الرواية بانواعها ، من اقصوصة الى رواية مطولة الى مسرحية . فالسمة الغالبة في هذا الباب هي عامية اللفظ ورعاعية المعنى . فهذا احمد نوح يجري على السنة ابطال اقصوصته «شربات» حوارا «بليغا» هذا نصه :

ـ يا الله من هنا يا مرة يا مجرمة ..
ـ اوعى ما تزقش جك قطع دراعك
ـ وكمان بتزقها يا بغل
ثم يقول ـ يا دي النيلة حاسبو حا تهرسو البنت
ـ بتعضي . بتعضي يا مسعورة يا بنت الكلب !
ـ ما كفاية بقى يا جدعان
ـ اوعى لازم افتح كرشه ... الخ

أفيقولن قائل ان في هذا الكلام المنقول عن ازقة القاهرة ادبا اوجمالا او فنا؟ ومع هذا فان استاذنا وصديقنا الدكتور محمد مندور يدافع عن هذا «الادب» وعن هاته اللهجة بدعوى انه ادب السليقة الشعبية . وقد قفى على اثر الدكتور مندور عدد غير قليل من النقاد والادباء .

ان الاديب الذي تستعصي عليه لغته ليس اديبا . والادب الذي يكتب بغير الضاد ليس ادبا . واننا لنقف من خلف عزيز اباظه مؤيدين حملته على الغزاة التتريين ، مرددين كلمته المدوية التي استصرخ فيها ضمائر الخالدين من اعضاء المجامع بان يهبوا الى نجدة «اللغة الالهية الثرية الفخمة الجامعة الواعية المبينة المؤدبة المفصلة » . ونؤيد عزيز اباظه في قوله :

« من الحق لكم ومن الحق عليكم ايها الخالدون ان تجهروا باصواتكم وهي في هذا المقام من اصوات النبوة مطالبين كل دولة عربية ان تطهر صحفها واذاعتها ومسارحها الجادة من خبثين قائلين : خبث مساندة العامية واشاعتها باسم التخفيف والتيسير ، وخبث مجاهرة الادب بعدوان سافر يهون من اقداس شعره ونثره باسم التجديد والتطوير ، فان فعلتم ـ وانكم لفاعلون ـ فنحن الاعلون ، والله معنا » .

القاهرة　　　　وديع فلسطين

سؤال

لم تخفق يا فؤادي لمن تجاهل هواك ؟
ولم تتألمين يا نفس لمن انكرك
ورحل عنك بعيدا ؟
أين عهدك بانك لن تدعي الحب
يغزو حصنك المنيع
سلبك الاطمئنان مفتاح الحذر
وانت تغطين في نوم عميق
فتسلل الهوى الى فؤادي
وبنى فيه عشا مكينا
ولم يعبأ بدموعي ولم ينصت لتوسلاتي
فما عساي اصنع وقد تأبى الرحيل ؟

وشنطن　　　　صفية ابو شادي

الادباء الالمان ومصير الانسانية

بقلم ليف كوبيليف

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

« ان الحرب التي كادت تنسى في كل مكان آخر لا تزال مستمرة هنا . فانفجارات القذائف تئز في اذانهم وعيونهم تعكس الرعب غير المحدود » بهذه الكلمات المنتزعة من (المسلة السوداء) يكتب اريك ماريا ريمارك عن نزلاء المستشفى النفساني الذين ضعضعت تجارب الحرب قواهم العقلية في الجبهة .

لقد مضت اكثر من خمس عشرة سنة على توقف القذائف والقنابل عن الانفجار ، واصبح الاطفال الذين ولدوا في زمن السلم مراهقين ، ولكن الحرب لم تدخل بعد في نطاق التاريخ . والمسائل الملتهبة التي انتفضت في اذهان الملايين بسبب حريقة ١٩٣٩–١٩٤٥ لم تبرد بعد لانها لم تغط برماد النسيان البارد الى الان .

تمكن النازيون من اغتصاب السلطة في المانيا بعد خمس عشرة سنة من انتهاء الحرب العالمية الاولى . وفي السنوات التي سلفت نصرهم الملطخ بالدم ظهرت عدة قصص ومسرحيات واشعار في الادب الالماني تدور جميعها حول الحرب . ومهما يكن من امر ، فان بيرتولد بريخت ويوهانيس بيخر ولودفيغ رين وايريك ماريا ريمارك وآدم شارد وارنست كلاسر وثيودور بليفر وفرتزفون اونره واوسكار ماريا غراف وغيرهم لم يتناولوا موضوع الحرب الا في نطاق ضيق ، باستثناء ارنولد زفايغ الذي استمر يكتب عن حوادث ١٩١٤–١٩١٨ والناس الذين عاصروا ذلك العهد ، مدة اطول .

يمكننا القول بوجه عام ، ان العقدين اللذين اعقبا الحرب العالمية الاولى ، لم يشهدا تطورا ملحوظا في الادب الالماني من حيث المساس بالحرب والمشاكل المترتبة عليها ، وانما كان نتاج الكتاب الالمان المختلفين في الاراء والممثلين لاجيال مختلفة ، ينبعث من مشاكل فلسفية واجتماعية اخرى ، ويكفي ان نذكر بهذا الصدد اسماء توماس مان وهنريخ مان وانا سيغرز وغيرهارت هاوبتمان وبرونو فرانك وهانس فالادا وبرنارد كيلرمان ، وولي بريدل وليونهارد فرانك وليون فروختوانغر وكورت توخولسكي وايريك واينرت واريك موهسام وارم غاردكون .

بيد ان الادب الالماني اتخذ طريقا اخرى تماما بعد ١٩٤٥ . فليست القصص والروايات والاقاصيص والاشعار المنشورة بين انقاض المدن والقرى هي التي عالجت موضوع الحرب حسب ، بل ان معظم الكتب التي ظهرت مؤخرا في تركيبة « المعجزة الاقتصادية » التي اجترحتها الجمهورية الالمانية الفدرالية ، هي نفسها جعلت من الحرب وعواقبها الموضوع الرئيسي للكتابة . وهنا لا بد لنا ان نذكر بعضا من الكتاب من اضراب ولنفانغ بوخيرت وهنريخ بول وهانز فرنر رختر وغيرت ليديغ وغيرد غايسر وكالودويغ اوبتس وهانز بمبومايكلهورباخ وولف ديترخ شنور وهانز هالموت كرست وولي هنريخ ومن الجيل الاصفر مانفرد غريغور وغنتر واغنر وكلاوس ستيفان واميل شوستر ، هؤلاء جميعا يتحدثون عن الحرب وعن العلاقات الانسانية التي تسببت الحرب في تكوينها .

ففي سنة ١٩٤٧ اخذ بورخيرت ينشر اقاصيص يمكن ان تسمى اشعارا منثورة . وفي السنة نفسها اذيعت مسرحيته « وراء الابواب المغلقة » . ان كل شيء يكتبه هذا المؤلف ينبىء عن مقته للحرب وغضبه على هؤلاء الذين ايدوها (او يؤيدونها) . واليك مقاطع مما كتبه :

« لقد دفنوا خمسة وسبعين (انسانا) في فورونيش ... وفي كل ليلة يأتي هؤلاء الـ (٧٥) الى المانيا وهم خمسة مصلحين ميكانيكيين وبستانيان وخمسة كتّات وستة مساعدي اصحاب حوانيت ، وحلاق وسبعة عشر فلاحا ومعلمان ورجل دين وستة عمال وموسيقي واحد وسبعة طلاب . وفي كل ليلة يأتي (هؤلاء) الى سريري ويسألونني بأجمعهم : «أين سيرتك (جماعتك؟)» فأرد قائلا « انهم على مقربة من فورونيش ، انهم هنالكمدفونون». « مدفونون بالقرب من فورونيش ، ولماذا ؟ » هكذا يسأل كل واحد من هؤلاء . فلا احير جوابا خمسا وسبعين مرة.

كل ليلة يأتي هؤلاء الى والدهم ، هؤلاء والملازم فيشر . انا الملازم فيشر . ثم يسألون اباهم قائلين « أبتاه ، لماذا ؟ » فلا يستطيع ابوهم جوابا خمسا وسبعين مرة . بل يستمر مرتجفا في لباس النوم ويذهب معهم . وذات ليلة يذهبون الى رئيس البلدية هم والاب وانا . ويسألونه قائلين (يا سيادة الرئيس ، لماذا ؟) وللمرة الخامسة والسبعين يعجز الرئيس عن الاجابة ، هو نفسه يرتجف في لباس النوم ولكنه يذهب معهم .

وفي ليلة اخرى يذهبون الى الوزير هم والاب ورئيس البلدية ورجل الدين والمعلم وانا فيسألون الوزير قائلين (لماذا ؟) وحينئذ يشعر الوزير بالخوف الذي ينتابه . كان عليك ان ترى السرعة التي استعان بها عندما اختفى وراء صندوق الشامبين . ثم رفع كأسا كأنه يريد ان يشرب (على نخبهم) فادارها الى الجنوب والى الشمال والى الغرب والشرق وقال : (أيها الرفاق ، لاجل المانيا ، لاجل المانيا) . فنظر هؤلاء حواليهم صامتين ، نظروا حواليهم مدة طويلة وظلوا صامتين . وبعدها عادوا القهقرى ، متسائلين بهدوء (من اجل المانيا ؟) ..

عادوا الى قبورهم بالقرب من فورونيش . لقد كانت وجوههم وجوها عتيقة شقية كوجوه زوجاتهم وامهاتهم .

انهم سيستمرون متسائلين ابد الدهر : « امن اجل ذلك ؟ من اجل ذلك ؟ من اجل ذلك ؟ » .

وبعد هذا الوقت بفترة وجيزة نشرت اقاصيص هنريخ بول ، وهي ايضا تمتاز بمقتها الشديد للحرب . وهذه الامزجة والمشاعر والافكار وفيرة في كتب العديد من كتاب المانيا الغربية ، ومن هذه الكتب قصص هانز رختر ، وطابعها العام يمتاز بنظرة مثالية للتاريخ مع روح مسالمة (سلبية) . وهذا الكاتب يستعمل الطريقة الطبيعية التقليدية في عرضه للواقع مع رمزية مكشوفة .

اما في قصتي (بارس) ١٩٥٣ و (جنرالي) ١٩٥٥ لكارلودفيغ اوبتس ، فاننا نجد تعبيرا انطباعيا قويا للاشياء الغريبة الشكل ، مع نظرة رزينة مادية للحياة . اما كتابات غيرت لديغ فتذكر برغبته في استخدام الطرائق المستحدثة، بأسلوبه السردي المختلف الاطوار . شأنه شأن هانز بمب ، في ربطه بين هجر الحرب واستنكارها وبين اوصافه للرعب البيولوجي الذي يلازم العذاب الانساني والموت.

ومع الاختلاف الكبير بين وجهات نظر هؤلاء الكتاب عن الحياة ومع اختلافهم في الاساليب الادبية ، فان مزاجهم العام واحد هو هو لا يتبدل .

وبعد قرابة عشر سنين من (عهد) بورخيرت عبر احد ابطال مايكل هورباخ عن هذا المزاج بالاسطر التالية: «ينبغي ان يبلّغ الذين يأتون بعدنا بكل هذه الاشياء ... حتى يعرفوا ما يهددهم . واذا لم يبلّغوا بذلك ، ففي عشر سنين سينشر الكلام الفارغ من جديد ، وسيصبح ابناؤنا جهلاء مرة اخرى ، جهلاء بما يكمن امامهم . يجب ان نتعلم كيف نحدثهم عنها (عن الحرب) ويجب ان نحملهم على الاصغاء الينا . اذ ينبغي ان يدركوا كل شيء . »

وضعت هذه الكلمات على لسان جنرال الماني ، قائد فرقة ، اقتنع — في النهاية — بطبيعة الحرب الاجرامية التي خاضها . التاريخ ٢٧ مارس ١٩٤٥ ، وفي هذا اليوم ينتحر الجنرال . ان مشاهد الحرب ، في هذه القصة ، تمتزج بومضات من حياة الشخوص الماضية ولمحات من مستقبلها ، اذا كان من المستطاع ان تبقى حية بعد نهاية الحرب . ان الجنرال المنور الذي يقتل نفسه سنة ١٩٤٥ يظهر الى الحياة في فصل يصفه كما لو ظل حيا الى سنة ١٩٥٢ . وهنا نراه يمتنع عن الاسهام في الاستعدادات لحرب اخرى ، ويرفض اقتراح الضباط الامريكيين ، في ان يكتب عن تجاربه في الحرب الماضية ويقول : « ما اشد الجنون الذي تعلمته قلة من الناس من الماضي ! انه جنون ان يوجد اناس لا يزالون يهذون عن الحرب ! ما افظع ضلال هؤلاء الذين يتقبلون فكرة الاستعداد (للحرب) مرة اخرى ! »

ان الرغبة الجامحة في تحذير الجيل الجديد عن ذلك (الجنون) ذلك (الضلال المميت) الذي يمكن ان يؤدي الى حرب اخرى ، هذه الرغبة هي التي توحّد بين الكتاب الانسانيين المخلصين في المانيا الغربية . وهذا الهدف المناهض للحرب ، والمناهض للفاشية يهدي العديد من الكتاب ، على اختلاف معتقداتهم السياسية والفلسفية ، وتباين اساليبهم الادبية ويميزهم عن الكتاب الرجعيين من اضرب دونفر وكيرن وآيزن الذين يحاولون تبييض وجه جيش هتلر والفرق الخاصة والتبشير بالعرقية والشوفينية والدعوة الى حرب انتقام جديدة .

ان موضوع الحرب لا يمكن ان يجف في ادب المانيا الغربية لان حياة البلد الاجتماعية وحياة العديد من الالمان لا تصاغ وفق ذكريات الحرب الماضية بل ربما الى حد كبير وفق التهديد المتنامي ، تهديد المغامرات العسكرية الجديدة . ومن ذلك ما تسمعه من اوامر الضباط الذين يدربون المجندين الجدد في سفوح الثكنات ، واجتماعات المنظمات العسكرية والاغاني القديمة .. كأغاني « المانيا ، المانيا فوق الجميع » . كما تحتضن حكومة بون ديوك الامس من الصنوف كافة . وعلى رفوف المكتبات تجد مذكرات الجنرالات ، والقصص والكتب (الوثائقية) التي تمجد الوير ماخت (الجيش الالماني) والفرق الخاصة تجدها مجلدة تجليدا انيقا براقا . اما في المدارس فان معلمي التاريخ يشرحون للاطفال بأن هتلر « اراد جعل المانيا دولة عظيمة .. فبنى طرقا مدهشة .. وخلق احسن جيش في العالم ... ووحد الالمان في امبراطورية ... ولكنه تغاضى عن بعض الاعمال الموغلة في القسوة التي ارتكبها اتباعه ضد اليهود واسرى الحرب . وفي المحاكم الالمانية الغربية تفرض العقوبات على المتهمين في حركة السلم العالمية ، اما ارصدة مجرمي الحرب ، الذين اصابهم العفو ، فهي في ارتفاع مستمر ، كما ان هؤلاء أصبحوا رجال اعمال ناجحين ، او موظفين مدنيين او متقاعدين محترمين . وهذا هو السبب في بقاء الفاشية والحرب متشبثتين بالحياة في المانيا الغربية ، ومستمرتين على الهام بعضهم مقت (الحرب) واثارة غريزة النهب والسلب في بعضهم الاخر .

وفي سنة ١٩٦٠ نشر هنريخ بول وهانز هيلموت كرست كتابيهما الجديدين ، والاول من كبار كتاب المانيا الغربية ، والثاني مؤلف العديد من احسن الكتب التي تتناول الحرب ، ومن اكثرها رواجا . ان الكتابين مختلفان كل الاختلاف ، مختلفان في وجهة نظرهما الى الحياة ، وفي الموهبة الادبية ، وفي موضوعيهما واسلوبيهما ، وبالايجاز، في كل الميزات التي تباين بين الكتب كل التباين . ولكنهما ، في الوقت نفسه، يعبران عن الانعكاسات نفسها، المنبعثة عن عملية اجتماعية تاريخية واحدة .

وقصة هنريخ بول تبحث عن اسرة (فيميل) مدى نصف قرن ، وهي سليلة نحاتين ، وقد ركز (المؤلف) حوادث القصة في يوم واحد من ايام آب (اغسطس) . وحكاية هذه الاسرة الاصيلة تتكشف في اطار دقيق يكاد

يكون كلاسيكيا ، ثم تصبح رمزا واقعيا لتاريخ المانيا الحديثة ، تاريخ ابداع متكاسل ، وتحطيم جنوني ، تاريخ حربين مرعبتين ، ودكتاتورية شقاة محترمين ، وجلادين متحذلقين ، وقتلة بيروقراطيين هادئين .

اما قصة كرِست (مصنع الضباط) فتحمل ، في صدرها ، هذه الكتابة « تذكرة الى الموتى ، وانذار الى الاحياء » تقع حوادث هذه القصة في غضون عدة اسابيع من شهري فبراير ومارس سنة ١٩٤٤ ، في مدرسة لتدريب الضباط . وكما هي العادة مع كرِست ، فان السرد الواقعي الذي يتحدث عن نماذج (افراد الجيش) واخلاقهم ، يثقل بالعاطفية والتفصيلات الطبيعية . هذا من جهة ومن جهة اخرى ، فان الموضوع المناهض للفاشية في القصة يمتزج امتزاجا بالعقدة البوليسية المحضة .

وفي هذا الكتاب كما في قصة « بول » الرائعة ، تظهر نغمة قلق متناغمة مع عزم على مقارعة تهديد احياء الفاشية ، واثارة حرب اخرى ، وهذه النغمة واضحة في قصص المؤلفين المعروفين وهي واضحة كذلك في بواكير الكتاب الشباب نوعا ما . ومن هؤلاء غنتر واغنر وكلاوس ستيفان ومانفريد غريغور ، وقد كتب هؤلاء عن الجنود الذين تتراوح اعمارهم بين الخامسة عشرة والسادسة عشرة ، ممن دُعوا الى الخدمة في غضون الاشهر الاخيرة من الحرب . تربى هؤلاء الشباب في احضان المدارس النازية . وقد عملت الدعاية النازية على تكوين مفاهيمهم عن العالم ، وعن الحرب والمانيا وغيرها من البلدان ، وعن العلاقة بين الامم ، والاختلاف بين الخير والشر .

كانت خيبة املهم التامة قاسية مضعضعة ، انهم ارسلوا ليموتوا بغير سبب . ان تلامذة الامس المسلحين بالبنادق العتيقة حُملوا على مواجهة عاصفة النار والحديد، مواجهة جيوش المنتصرين في معارك ستالينغراد وسيفاستوبول ، الجيوش المنطلقة من الشرق ، والوف الدبابات الامريكية والانكليزية المتدحرجة من الغرب .

لقد فُرض الموت على الشباب الالمان والشيوخ والمقعدين المنخرطين في قوات « العاصفة » لا لشيء الا لاعطاء الجنرالات المرعوبين راحة قليل من الاسابيع قبل الكارثة المحتمة ، وتطويل عهد رايخ هتلر مجرد يوم او يومين .

والان وبعد مرور الكثير من السنين ، لا تزال الكتب والقصص والاقاصيص تتتابع متحدثة عن الحرب . انها لا تكتَب لان مؤلفيها يريدون التخلص من الذكريات المعذبة حسب ، بل لانهم يريدون التأثير في معاصريهم ايضا .

وهذا ما نراه بوضوح واقناع في قصة « انفريج » لكرستيان غايسلر . وهذه اول قصة للمؤلف اذ هو لا يتجاوز الثلاثين الا قليلا ، ان الكتاب مزيج من الادراك الفني الواقعي والوثائق التاريخية والحكايات الرمزية الاصيلة ، كل هذه محبوكة في عقدة ، اما السرد فهو يتضمن في اطار من الامثال . لقد كتب غايسلر كتابا يتلظى مرارة وغضبا . وبطله ، عالم شاب هو كلوس كوهلر ، ابن احد ضباط جيش العاصفة ، كتب عنه مرة بانه فقد في الجبهة ، ولكن الامر كان على الضد من ذلك ، اذ بقيَ حيا تطارده فكرة واحدة هي فهم طبيعة البربرية النازية وحوافزها من الاعماق بغية فضح هؤلاء الذين يريدون اعادتها ويتوقعون انبعاثها . واليك ما يقوله البطل مدعما بالوثائق التي يجهزه المؤلف بها :

« الى ان يستتب النظام في الاقبية والغرف العليا ، تظل ارضية الغرف الوسطى مغطاة ببراميل البارود . وطالما ظلت القنابل الزمنية تدق فوقنا وتحتنا ــ لا شكرا لك ! علينا ان نذهب الى الغرف العليا والى الاقبية لنكتب كراريس ، ومهما تكن هذه صغيرة ، فهي ضرورية من مدة طويلة . اما الموضوعات ، فمثلا : كيف اصبحت قائدا ومن ثم اصبحت وزيرا ؟ »

يعلق المؤلف على الجملة الاخيرة بقوله : «المسألةموجهة الى شرودر وزير الداخلية في الجمهورية الفدرالية واوبر لاندر وزير المهاجرين . » اما موضوع الكراسة الثانية فيضعه كلوس كوهلر ، على الوجه الاتي : « كيف اصبحت مفسرا للقوانين التي تدعو الى نشر الكراهية العنصرية وكيف اصبحت سكرتيرا للدولة ؟ » ومرة اخرى يعلق المؤلف « المسألة موجهة الى سكرتير الدولة ، هانز غلوبكه. واليك مقتطفات من تفسيرات الاخير في سنة ١٩٣٦ ، «ان اليهود ، دما وطبيعة ، معادون عرقيا للالمان ... ولهذا فالتوتر بين الشعبين امر طبيعي ومعقول . وما قوانين نورنبرغ والترتيبات اللازمة لتطبيقها الا الحل النهائي لهذه المشكلة العرقية . وعلى اليهود ان يفهموا ان نفوذهم على مجالات الحياةالالمانيةجميعا، قد انتهى الى غيررجعة.»

ثم يقول كلوس كوهلر مختتما الكتاب : « يجب على هذه الكراريس ان تستهدف تثقيف الشعب الالماني . كما يجب القضاء على الروائح الكريهة المنبعثة من الكحول والمأكولات المهضومة ، لقد حان الوقت . ان الغازات تتجمع . وسيكون الانفجار كالالعاب النارية ، صدقوني، نحن الابناء والاحفاد ، سننظر الى السنة اللهيب ونقول : (ما اجملها !) اننا سنستحسنها بكثير من عرفان الجميل.»

يقول غايسلر نفسه من طريق بطله : « انه لا الرعب ولا

ان قصة غايسلر مكتوبة بشيء من عدم الانسجام . وهي مثقلة احيانا بالخطب الاعلانية والبلاغة المجردة . ولكن هذه شأنها شأن القصة برمتها ، مخلصة كل الاخلاص ، تدوي دائما بالعاطفة الحقيقية . واملنا ان يكون هذا الكتاب معبرا عن افكار ومشاعر جزء غير يسير من شباب المانيا الغربية . ومن المعقول ان هذا وحده لا يكفي للقضاء على التهديد المرعب للفاشية والحرب . يقول غايسلر نفسه عن طريق بطله : « انه لا الرعب ولا العار بقادر على الوصول الى هدف ما . »

اربيل ــ العراق **يوسف عبد المسيح ثروة**



من اليمين الى الشمال : باولو منغانتي ، عيسى الناعوري ، مارتينو مورينو ، الانسة ماريا نللينـو ، جوفانـي اومان

المستشرق مارتينو ماريو مورينو

MARTINO MARIO MORENO

بقلم عيسى الناعوري

قبل ان تتاح لي الفرصة لزيارة ايطاليا كنت على صلة بالمستشرق الايطالي الكبير الدكتور مارتينو ماريو مورينو، وكانت بيني وبينه مراسلات ودية ، وكان يكلفني بكتابة مقالات لمجلة (المشرق — LEVANTE) التي يصدرها مركز العلاقات الايطالية العربية في روما ، ويتولى هو رئاسة تحريرها منذ سنوات ، والتي من اهم اهدافها توثيق الصلات بين ايطاليا والبلاد العربية ، والتقارب بين الثقافتين : الايطالية والعربية .

وفي مساء اليوم الاول لوصولي الى روما اتصلت هاتفيا بالدكتور مورينو واخبرته بوصولي ، فرحب بي وضرب لي موعدا للقائه . وفي صباح اليوم التالي زرته في مكتبه بوزارة الخارجية الايطالية ، ثم عدت في المساء فزرته في مكتبه في مركز العلاقات ، حيث يحرر مجلة (المشرق) . ثم لم تنقطع زياراتي له طوال مدة اقامتي في روما ، وقد استغرقت اقامتي في روما وحدها اربعة اشهر .

والدكتور مورينوشيخ جليل، ولدفي مقاطعة(ليجوريا) في الريفيرا الايطالية الجميلة ، وانصرف الى الاهتمام بعلوم الاستشراق منذ عهد الشباب ، وقضى القسم الاكبر من حياته في بلاد الشرق ، ولا سيما في افريقيا ، حتى اصبح علما ومرجعا في عدد من اللغات واللهجات الافريقية ، الى جانب اللغة العربية التي يجيدها كتابة وحديثا ، والى جانب اطلاعه على الادب العربي الحديث ، وصلته الشخصية بالكثير من اعلامه الاحياء ، ولا سيما من اللبنانيين والمصريين .

لقد عمل مورينو في الحبشة مدة طويلة ، وتعلم لغاتها المتعددة حتى اتقنها ، وكتب عددا من المؤلفات عن طقوسها، ومعتقداتها ، وتقاليدها ، ولغاتها . واقام مدة قصيرة في الصومال ، ووضع عنه كتابا بعنوان (اللغة الصومالية في الصومال) .

واما في البلاد العربية فقد اقام عشر سنوات في ليبيا ، وسنة واحدة في مصر ، وزار اليمن مرتين ، وعمل في لبنان مديرا للمركز الثقافي الايطالي ، ومحاضرا في اللغة الحبشية واللغة الحميرية في الجامعة اللبنانية ، وفي السودان اقام سنة واحدة وزيرا مفوضا لبلاده .

وفي اثناء اقامته في بيروت نشر عدة مقالات في مجلة « الورود » وفي مجلة « الحكمة » . وكانت مقالاته متنوعة ، تتناول موضوعات اسلامية ، واخرى تبحث في بعض شؤون اللغة العربية ، كما كان يتناول في بعضها التعريف بجوانب من الادب الايطالي . وقد ظهر له في منشورات الجامعة اللبنانية كتاب قيم عنوانه « المسلمون في صقلية » جمع فيه خمس محاضرات كان قد القاها على طلاب الجامعة اللبنانية .

واما عن اليمن فقد وضع كتابا بالايطالية دعاه «العقيدة الزيدية في اليمن» . وهو الان في روما يعمل فيحقلين معا: حقل الشؤون والوثائق الافريقية في وزارة الخارجية، وحقل العلاقات الثقافية بين ايطاليا والبلاد العربية ، حيث يرئس تحرير مجلة « المشرق » التي يصدر نصفها بالعربية ونصفها الاخر بالايطالية . وقد استطاع بحكمته ومقدرته وصلاته الشخصية العديدة ان يجعل من هذه المجلة الفصلية ملتقى لاقلام عديدة قديرة : عربية وايطالية ، وميدان تعارف بين ذوي الاقلام الايطاليين والعرب ، وان يؤدي لثقافتي الامتين العريقتين خدمات جلى بما ينشره في كل عدد من أعدادها من الابحاث المختلفة .

ولا يخلو عدد واحد من أعداد المجلة من مراجعات ادبية يكتبها الدكتور مورينو نفسه، وأحيانا يشاركه مستشرقون آخرون من زملائه ، تعريفا ببعض المؤلفات العربية الحديثة ، او من بعض الدراسات المشبعة القيمة يكتبها هو نفسه أيضا عن بعض اعلام الادب العربي الحديث . واشير بنوع خاص الى ثلاث دراسات كتبها في العامين الاخيرين عن (شفيق المعلوف — رشيد سليم خوري — الياس فرحات) .

ولقد بلغ عدد المؤلفات والابحاث التي نشرها الدكتور

● من كتاب « مستشرقون وادباء عرفتهم في ايطاليا » يصدر قريبا .

1) La versione araba del libro di Kalilah e Dimna 2) Brevi nozioni d'Islam 3) La Dottrina dell'Islam 4) Mistica araba 5) Mistica musulmana e Mistica indiana 6) L'Islamismo 7) L'Islam e l'educazione.

موريتو ثمانية عشر كتابا : عشرة منها تتعلق بالحبشة والصومال ، والثمانية الاخرى بالمسلمين والعرب . وهي كلها باللغة الايطالية عدا واحد منها بالعربية . وفي ما يلي عناوين المؤلفات الخاصة بالعرب والمسلمين :

١ ـ النص العربي لكتاب كليلة ودمنة (وقد نشر في سان ريمو عام ١٩١٠)

٢ ـ معلومات موجزة عن الاسلام (نشر سنة ١٩٢٧)

٣ ـ عقيدة الاسلام (ظهرت طبعته الثانية في مدينة بولونيا عام ١٩٤٠)

٤ ـ التصوف العربي (ظهر سنة ١٩٤٣)

٥ ـ التصوف الاسلامي والتصوف الهندي (ظهر في روما سنة ١٩٤٦)

٦ ـ الاسلام (ظهر في ميلانو سنة ١٩٤٧)

٧ ـ الاسلام والتربية (ظهر في ميلانو سنة ١٩٥١)

٨ ـ المسلمون في صقلية ـ بالعربية ـ (ظهر في بيروت سنة ١٩٥٦)

هذا عدا عشرات من الدراسات والابحاث والمراجعات الادبية التي كتبها مورينو بالعربية والايطالية والفرنسية في مواضيع متعددة ، ولا يزال يكتبها وينشر بعضها في مجلة « المشرق » وغيرها من مجلات الاستشراق .

ولئن كان اغلب المستشرقين يهتمون بالابحاث القديمة فان مما كنت اغتبط له ، واعرب عن غبطتي لاصدقائي المستشرقين في ايطاليا ، ان نجد بينهم من انصرفوا اخيرا الى الاهتمام بالادب العربي الحديث ، وعلى راس هؤلاء الدكتور مورينو ، الذي فتح له المجال واسعا في مجلة « المشرق » حتى لقد اصبح كل اهتمامه منصرفا في السنوات الاخيرة الى التعريف به وباعلامه .

ومن الانصاف ان اذكر ايضا من المهتمين بالادب العربي الحديث كذلك الاصدقاء المستشرقين : فرانشيسكو غبريلي ، وباولو منغانتي ، وأومبرتو ريتستانو ، وروبيناتشي ، وغيرهم ، وكلهم من اعلام المستشرقين الاحياء .

ومن الانصاف كذلك ان اذكر ان الاديب العربي الذي يزور ايطاليا يجد لدى هؤلاء الاعلام وزملائهم كل الحفاوة والترحيب والاهتمام ، سواء في مركز العلاقات الايطالية العربية حيث يعمل الدكتور مورينو ، أم في معهد الشرق الذي ترئسه الان الانسة ماريا نللينو ، ابنة المستشرق الكبير المرحوم كارلو الفونسو نللينو ، ويساعدها باولو منغانتي ، وجوفاني اومان، أم في جامعات روما، ونابولي، وباليرمو ، حيث يعمل بقية زملائهم من اعلام المستشرقين، رجالا ونساء .

وبعد فلقد كان من دواعي سروري العظيم ان اعرف الدكتور مارتينو ماريو مورينو شخصيا ، وان ازوره مرارا متعددة في اماكن عمله ، وفي منزله ، وان اتحدث معه احاديث طويلة في شؤون الفكر العربي والفكر الايطالي ، وان اشاركه واسرته على مائدة الطعام ، وارافقهم في نزهة الى كاستل غوندولفو ، وبحيرة البانو .

لقد ترك هذا الانسان الطيب الكريم في نفسي أثرا عميقا ، مما جعلني أعتبر صداقته من المكاسب الكبيرة التي أتاحتها لي رحلة ايطاليا .

عمان — عيسى الناعوري

الشقشقيق الاحمر

يا شقشقيق تخضبت منك الرياض الناضرات
ادم الاحبة انت ، أم دمع الحسان الغانيات ؟
ام انت آهات المحب على ترانيم الصلات ؟
ويح الاحبة ويحهم ! .. ويح القلوب الصاديات
افكلهم شوق تذوب له النفوس الصابرات
او كلهم روح يرف على لحاظ ناعسات
من للمحب ومن له عند السهام القاتلات ؟
دمه حلاك في رحاب « السابحات الفاتنات »
الشقشقيق دم الهوى .. وندى الشفاه الحالمات
عبق الورود ، على القدود ، على خدود ناعمات

دمشق — بشير العوف

صورة لبنانية : رحلة صيد

بقلم الدكتور علي شلق

***

أكاد لا امد يدي الى سحق نملة ، او ايذاء جندب، وكثيرا ما اداعب الهرة ، وامسح راس الحمل ، واطعم بيدي عجلا او حمارا من اطايب الحشيش . ان لي شعورا مشاركا انيسا مع هذه المخلوقات الحية ، حتى انني لاذهب احيانا الى ابعد من حدود المشاركة الوجدانية في تقدير جوانب التلاقي بيننا نحن البشر، وبين هذه الحيوانات العجماوات، فأداور في نفسي ان هذه حيويات تثبتت ، وتخلفت ، ونحن حيويات تطورت .

اما بخصوص الطيور ، فهي مخلوقات احب الى روحي من سائر الحيوانات ، فكثيرا ما اشبه الارج المنبعث من خصل اطفالي بعبير الطيور الضائع من ريشها . انا اعشق الطيور ، وانغمر في جو لا آنق ، ولا الطف، من وثباتها ، وحركات اجنحتها ، ورف ريشها ، وغنج نقراتها .

الطيور هي تعبير عن فرح الارض والاجواء بالحياة ، انها أناشيد حية ، ونبرات سمفونية ، تتماوج من قلب أمنا الارض .

غير أنني في الصيد انقلب الى شخص آخر ازاء الطيور، اخلعني تلك الشخصية التي أكونها عادة، والبس جلدة من يسعر دمه لتقتيلها ، ورميها ، وذبحها ، وهذا ما يبرر الشعور بالحرب عند كبار الانسانيين ...

انسان يقتل طيرا مباح في عرف البشريين ، ولكن قتل الانسان للانسان هذا فظيع ! أما عندي فالامران سيان .

اشترط علي صديق الماني يدرس اللاهوت ان لا اصطاد الطيور كي تستمر صداقتنا ، والا فانا غير جدير بالانسان فيَّ ، قلت له : فكيف كنت في الجبهة الروسية ؟ اجاب: يا صديقي ، عندئذ كان يختفي الانسان المتحضر ، العطوف، وينبت انسان الادغال . حياة تناضل في سبيل ان تبقى الحياة .

من هنا اجد في الصيد متعة لا تعدلها متعة ، فهي الكوة التي اطل منها على الطبيعة ، ومعانقتها تحت ظلالها، وفي وديانها ، وعلى قممها ، وعند شواطئها. اضم الاسحار الى اعماق روحي ، وانشق عبير قلب الارض الذي يملأ كياني ، ولهاث الاشجار ، المضمخ بانفاس الوديان يسكر عروق ضميري .

الشمس شمس ، والظل ظل ، ساعة انساح في رحلة الى الصيد .

نشوتي عندما استهدف ترغلة او حمامة او حجلا ، او بطة ، لا تعدلها نشوة . الحسن بن هانىء في رحاب قطربل وكلواذي وطيرناباذ ، وكم لي من رحلات كنت احظى فيها بتقريظ رفاقي عند اصابة نادرة ، وكم كنا نتغامز على فشكول في الصيد بيننا ، ونتراهن على تشليح الجفوت ، او نقرق على مبتدىء باستعارة تعبير من دنشواي « يا رب تجي في عينو » و «يا تعتير» الجبل اللي بينصاب . تعاقدنا ، الداعي احد شيوخ الصيادين في « القويطع » وجرجي ابرهيم والاخوين جميل وعبد اللطيف وخامسا نسيت اسمه على ان نقصد الى «جوفين» احدى قرى جبال بانياس ، فهنالك رفوف رفوف من الحجال .

ما ان دقت الواحدة بعد منتصف الليل ، حتى سمعت هدير سيارة سبيع ابي علي ، وزمورها المتميز ، والبوابة تزيزق عند فتحها ، واصوات تتصايح : « قم يا كسلان ، يا شاري الطيور ، يا حامل وسام « رب تجي في عينو » .

ما كادوا يتوسطون باحة الدار حتى راوني آخذا اهبتي، متقلدا سلاحي ، في وقفة السلام العسكري ، فاندهشوا لهذا النشاط العجيب الذي جعلني اقف لهم مستعدا وهم يظنون اني ممن يحتاجون الى تفييق . جهلوا امري فانا أحب ان احافظ على لقب شيخ صيادي القويطع حتى على يعقوب الفداوي .

السيارة تهدر في طريقها الى جبال العلويين ، والفجر أخذ ينفض جناحيه الازغبين شيئا فشيئا على مشارف الشرق ، والاشياء اخذت في مسح جفونها ، والمخمل الذي على الآفاق بدأ يصطبغ بالبرفير ، ويلهث بالحرير ، فكأن للطبيعة حسناء في منامتها الشفافة ، وعبير جسدها الانثوي المرتوي يملأ خياشيم الاجواء .

يا للصلاة في السحر ! من لم يجرب أن يسبح في نشوات الاسحار ، لم تنفتح له كوى على السماء ، ولا ابعاد على الكون ، ولا يقبش في اغوار نفسه . فلكي تكون أنت أنت ، ابنا لهذه الارض ، الارض الوليدة بنت الافلاك، وذرة في شواطىء المجهول ، قم في السحر، وعانق مواكب الانداء ، ولهثات البكور ، ورفرفات الريش الخمري .

مفرق الحصان بعد بانياس ، اشار علينا بالتصعيد الى جوفين ، وصلناها والشمس تفلش ملاءاتها على الذرى والسفوح ، وموتور الطاحون في القرية ينبض بحنجرة غريبة محشرجة ، تخدش صفاء تلك الطبيعة ، وتخربش في سطورها الصافية ، المنسوقة .

اعتمرنا بسلاحنا ولوازمه ، واستأجرنا غلمانا يحملون حقائبنا ويدلوننا على طريق المصيدة التي تبعد زهاء ساعتين عن القرية . في مجرى اللغط وفوضى الفرفشة التي تساعد على قطع المسافة ، رأيت وسمعت جرجي يدفع عبد اللطيف بكتفه ويقول : يالله هيىء منكبيك ، فسنحمل هذا النعنوع المدلل عندما يسخسخ ، ويعجزعن السير .

نزلت علي تلك الكلمات نزولا ثقيلا ، وصحت ، ايها

السكيكين ستعرفان بعد دقائق من فرسه جرادة من الذي فرسه أبجر عنتر ، او ذلك الذي ترك على خدود النجوم وشم حوافر كما يقول صديقنا ابو ريشة ، فلم يكن جواب البطلين باكثر من ضجيج ضحكات مقرقة ساخرة.

وديان يردف بعضها بعضا ، وجلول تصلح للكرمة ، والبساتين ، ولكنها مهملة ، وآثار قصبات القمح تملأ منبسطاتها ، الشيء الذي يشير الى حالة اولية في الزراعة . فلو ان تلك الارض اعتبرت فنيا ، ودرست تربتها ، لجاءت من اغنى بقاع الخصب . اما عن الغابات، والوديان ، والطبيعة الفاتنة الساحرة ، فحدث ولا حرج ، وهي جبال لا تقل عن اخواتها في لبنان علوا ، وقابلية للاصطياف واغراء للانسان ، لكن الكثيرين لا يعرفون عنها شيئا ، والطريق اليها جد عسيرة ، وجدنا فئة من صيادي بيروت قد سبقتنا ، وعلق القواص على الرفوف التي تتطاير من هنا وهنالك ، فكنت كلما رفعت يدي على حجل يسبقني جرجي ابرهيم ويطلق الخرطوشة ، وكثيرا ما كنا نطلق معا ، وهنا تنشب معركة في سبيل حيازة الطير المسكين ، لا يفكها الا مجلس قضاء صيادي ، يتيح فرصة للحجال كي تستعد للاختباء من ظلمنا وقساوتنا.

كادت الشمس ان تميل الى منحدرها نحو الافق ، والجوع يفح في اعماقنا ، ورفاقي اجهدوا من السير ، وحان وقت غدائنا ، فتصايحنا الى العين التي في السفح المقابل . وهنا كان عجبهم بالغا مبلغه عندما راوا ذلك الكسول النعنوع يبزهم جميعا بالنشاط ، ويتفرعن عليهم، سباقا الى العين .

انا لا انسى ما حييت عذوبة ذلك الماء ، كما لا انسى جهل القرويين هنالك وبعدهم عن تنظيم وتنظيف ما حولها.

الطريق في العودة الى حيث سيارتنا في جوفين واقفة متحدية مصعدة ، تحتاج الى سيقان شيطانية . وهنا انفتح لي مجال التزريك لرفاقي بقولي ان اعصابي من شغل الحاج محمد ، وليس مثله في الشمال معمرًا تجاوز المئة بسنوات عدة ، ولا يزال يتفقد ارضه ، وابناءه ، واصدقاءه وهو اغزر ما يكون الرجال نشاطا وجلالا ومحبة حياة . هذا التفوق في النشاط ، يقابله تفوق في حشو حقيبتي بعدد من الحجال اكثر ، مما حمل الخبيثين على اتهامي بشراء خمسة حجال منهما ، ونشرا تلك الخبريات في المقاطعة ، يؤيدهما بذلك اخصامي بالطرنيب والليخا، والصيد ، وتساعدهم جميعا زوجتي ومعها ابني فضل ووالدي الحاج محمد لانهم يكرهون مني ان ارتحل الى الصيد ، ويتضايقون من فروسياتي وعنترياتي عليهم .

كانت حصيلتي ستة طيور وحصيلة كل منهما لا تزيد على الثلاثة ، اما جميل وهو اصيدنا فلم يوفق بسوى ارنب .

كان نشيدي تزريكيا لهم «الصيد كل الصيد في جوف الفرا » مشيرا الى حقيبتي المحشوة ، والى جفتي الممتاز الذي يجيبها من قلب النجم .

في لبنان هوس ساعر للصيد ، الفتيان ، الكهول ، الشيوخ يصطادون ، كادت عصافير الزغردة تنقطع ، لم يبق حجل في تلالنا ، لم تعد وزة تألف مستنقعاتنا . لا عين تقشع ولا اذن تسمع ، ولا ضمير يستجيب ، ولا الدولة تشتد في مطاردة حاملي التسعة ميلي الذين يروعون العصافير ، ويقتلونها ، ولا الصيادون الكبار يتورعون عن ان يجعلوا العام كله مجالا للصيد .

ان الحجال في امريكا تدخل البيوت ، وفي فرنسا تسرح الحجال على طرقات الاسفلت ، وليس للناس الا شهر واحد يصطادون فيه برخصة من الدولة .

ايها اللبنانيون ، نقمت عليكم الطيور في بلادنا ، في جوارنا ، فرحمة بها ، رحمة بأجوائنا التي تحتاج الى ريش ناعم يمسح عن وجهها الذرور والهباء ، ويترغل في آفاقها الطف الغناء ، وينقّي تربتنا من الهوام والحشرات المضرة ، كما يخفف من لذع البعوض وما يشاكله في اجوائنا .

اصبحنا نضيخ باذاننا في البكور لنسمع زقزقة عصفوره، ولنرى لطف رفيقها في الهواء ، فلا نكاد . اين وزارة الداخلية ؟ اين القائمون على السياحة والاصطياف ؟ اين الذوق اللبناني ؟

لبنان اغنية حلوة في بلاد الارض كاد الصيادون يشوهون صفاءها . ومعزوفة رائعة لله ، كادوا يقطعون وترا من اعذب اوتارها .

الصيد رياضة محببة ، وهو باب منفتح على الحرية ، على محبة الطبيعة ، ولكن الحرية نظام ، وانضباط ، وليست انفلاتا فوضويا .

الصيد صلاة ، هيكلها الفضاء الوسيع ، والصلاة في وقتها عبادة ، وهي في غير وقتها اشباع الزمان بما لا يرضي الرب ، وتجاوز على الحياة نفسها .

واليوم في زحمة العمل ، ومطالب العائلة ، ومستلزمات المدنية ، لم يعد لنا فسحة من الوقت للصيد ، واصبحت رحلاته ذكريات وابعاد حنين .

الا من يعطيني يوما واحدا للصيد في الشهر ، وليأخذ مني مقابله عاما من العمر !

علي شلق

عبد القادر حمزة : صحفي ومؤرخ

* * *

بقلم محمود بن الشريف

أسهم بكتابته المشتعلة حماسة ووطنية في اذكاء روح التحرر ، واغرى العرب بان يستلهموا من ماضيهم المجيد وتاريخهم الزاهر ، وقودا يذكي همتهم ، ويلهب قواهم ، ويدفعهم للنهوض من كبوات الفساد الداخلي الذي صدع وحدتهم وفرقهم ايدي سبأ . كان ثورة لاهبة ، وفورة لا تخشى بطشا ولا وعيدا .. كتل قوى المصريين بروائعه الادبية .. وشحذ هممهم بمقالاته الصحفية .. ووجه انظار بني الوطن ليحملوا ارواحهم على أكفهم ، ويفنوا في حب الوطن ، ويخشوشنوا على اعدائهم وشانئيهم ، لتسنموا ذروة المجد وينشطوا من عقال الاستعباد واغلال الاستغلال . انه صاحب جريدة البلاغ الاستاذ عبدالقادر حمزه الذي فقدته مصر وخلا مكانه في الصحافة ومكانته في الادب في يوم الجمعة ٦ يونيه ١٩٤١ وهو في الثالثة والستين من عمره .

ان المواهب التي كونته ، والسجايا التي اتصفت بها قلما تجتمع لاحد ، فلقد بلغ ما بلغ من رفيع المنزلة وبعد الصيت بحسن استعداده وطول اجتهاده ، فلم يتكيء في اجتهاده المادي او الادبي على سند من اسرة او ثروة او وظيفة ، وهو في ذلك احد الافذاذ الذين شقوا طريقهم الوعر بسن القلم ، وكان قلمه في يده كالمبضع في يد الجراح الماهر ، لا يشق الا بتقدير ، ولا يقطع الا بقدر ، ولم يتميز من الاساليب الصحفية في عصره غير اسلوبه واسلوب استاذ الجيل الفيلسوف المصري «لطفي السيد» تميز اسلوبهما بالايجاز والاشراق والطلاوة وروعة المنطق، وبريء من الثرثرة واللغو والبعد عن الاسفاف والابتذال. عالج عبدالقادر حمزة المحاماة في مقتبل عمره ، ثم دفعته الظروف بمعونة ميله الفطري الى الصحافة فبرز فيها تبريزا لا يتهيأ الا لاصحاب الملكات القوية ، وكان مما ساعده على هذا التبريز طريقته الواضحة في الجدل ومذهبه العفيف في النقد ، ونظرته الثاقبة في الادب ورجولته العنيدة في الحق العنيفة في هد الباطل وهدم حصونه وقلاعه .

مال الى الكتابة الصحفية في مطلع شبابه ، وكتب سنة ١٩١٩ في جريدة «الاهالي» وكانت ميتة مقبورة فأحياها عبدالقادر باسلوبه الرصين ، وغذاها بوطنيته ونفخ فيها من روحه فاقبل عليها كل من حرص على غذاء العقل والوجدان . وظل يكتب ويجاهد في سبيل مصر التي كانت ترزح تحت نير الاستعباد الاجنبي ، وحمل حملات صحفية صادقة على الاستعمار واذنابه ، وكان من نتيجة حملاته على الاحزاب ورجال الحكم الطالحين في دنيا السياسة المصرية ان لقي منهم ومن عنتهم وجبروتهم وغشمهم ما يوهن اقوى العزائم ، ولكنه كان بين تلك الزعازع كالاشم الراسخ لا تنال منه الرياح الهوج ولا تهزمه الاعاصير ولا يزيده العنت الا عنادا واصرارا . وكان دائما ما يهتف «نحن قريبون من النصر» . وقد رثاه الدكتور زكي مبارك ــ الذي كان يحرر في جريدة البلاغ التي اسسها عبدالقادر حمزة سنة ١٩٢٣ ، وعدد مناقبه وسجاياه فقال :

« كان اخا نقي القلب ، عذب الروح .. كان مثالا نادرا في حفظ الوداد بالمحضر والمغيب ، كان دنيا باسمة من الاخوة الروحية ، كان كنزا نزعته الاقدار من ايدي مصر.. عاش في متاعب جسام ثقال .. كان يعادي بعنف ، ويصادق بعنف ، ومن اجل هذا كانت حياته سلسلة من الآلام والآمال والعواطف العنيفة تزلزل بنيان الجسد فتسوق اليه الموت قبل اوان الموت !! كان يقضي اوقاته في استقصاء حوادث التاريخ، ولو قال قائل بان عبدالقادر حمزة هو اصدق مؤرخ في مصر لما اتهمه احد بالمبالغة والاغراق » .

والمتصفح لكتابه «تاريخ مصر القديم» وما يحمل بين دفتيه من صادق الحس وجمال التعبير وحسن العرض لامجاد مصر لا يسعه الا ان يحكم على زكي مبارك بان عبدالقادر حمزة هو اصدق مؤرخ في مصر الحديثة .

وقد اعتقل عبدالقادر مع الدفعة الثالثة في ثكنات قصر النيل ، ومكث في المعتقل قرابة شهرين ، وله ــ فضلا عن مترجماته الجمة ومؤلفاته العدة في القصص والادب ــ له جزء ثان لم يستكمل من كتابه « على هامش التاريخ المصري القديم » اصدره ابناؤه بعد وفاته على الحالة التي تركه عليها ، وعند اخر كلمة خطتها يده فيه.

وقد ترجم عبدالقادر حمزة للكاتب الانجليزي «الفريد اسكاوند » مؤلفه الهام «التاريخ السري لاحتلال انجلترا لمصر » ، وكتب له مقدمة سرد فيها مساوىء الخديو اسماعيل ومثالب حكمه ، واصدر الكتاب مع المقدمة في عهد الملك فؤاد فكان اجزاؤه ان اغلقت كل جريدة اصدرها او حرر فيها .

وعارض عبدالقادر ، سعد زغلول في كثير من المواقف التي حاد فيها عن الجادة ، وخرج عليه في مقالات بجريدة الاهالي سنة ١٩٢٠ عنوانها المثل العربي المشهور « ما هكذا يا سعد تورد الابل » . وان مصر لتذكر لمؤرخها الصادق وولدها المخلص معارضته المشهورة لمشروع « ملنر » التي كان من نتائجها ان رفض ساسة مصر هذا المشروع بعد ان فكروا ... وفكروا كثيرا في قبوله .

القاهرة — **محمود بن الشريف**



الشوقيـات المجهولة

للدكتور محمد صبري ـ ٣٢٠ صفحة ـ مطبعة دار الكتب في القاهرة

لا يمكن تقدير العمل الادبـي الكبير الذي قام به الدكتور محمد صبري السربوني بنشر الجزء الاول من « الشوقيات المجهولة » دون النظر الى الجهد الضخم المبذول في سبيل استخلاص خمسة الاف بيت من الشعر الذي قاله امير الشعراء شوقي ونشر في بطون الصحف والمجلات خلال اربعة واربعين عاما (١٨٨٨ ـ ١٩٣٢) وهي الاعـوام التي مضى شوقي يذيع شعره خلالها في صحف المؤيد والظاهر واللواء والاهرام والمجلة المصرية والصاعقة والموسوعات وعشرات من المجلات .

فقد صدرت الاجزاء الاربعة من ديوان شوقي بين عامي ١٩٢٦ و ١٩٤٣ وتم طبع الجزئين الاول والثاني في حياة شوقي والجزئين الاخرين بعد وفاته ، ومر على ذلك ثمانية عشر عاما حين فاجأ قراء الادب العربي الدكتور محمد صبري بهذا العمل الضخم الذي كرس نفسه له اكثر من خمس سنوات وهو يواصل البحث في دور الكتب بالقاهرة ويصعد الى دار الكتب في القلعة وهو عمل شاق حيث يمضي ساعات الصباح يقلب المجلدات القديمة صفحة صفحة ، يواجه في كل ورقة الاتربة والمشقة في هذا السن الذي يعبر به الى الحلقة الثامنة من عمره المبارك في صفحة جيدة وقوة روحية عارمة وايمان صادق بالعمـل الذي جرد نفسه له ليضيفه الى اعماله الضخمة في ميدان الادب والتـاريخ .

ويمكن القول بان هذا الجزء الذي صدر عن مطبعة دار الكتـب الرائعة الحروف بهذا الحجم الكبير وعلى الورق الابيض المصقـول في ٣٢٠ صفحة على انه يمثل (اثار شوقي التي لم يسبق كشفها او نشرها) خلال الفترة من ١٨٨٨ الى ١٩٠٣ ـ هو اعظم كتاب عربي صدر خلال عام ١٩٦١ ، لما بذل فيه من جهد ضخم ، لم يقف عنـد البحث عن شعر شوقي المجهول في هذا العديد من الصحف والمجلات، بل ينسحب ايضا على المراجعات الدقيقة التي قام بها بين ما نشر منه في ديوان شوقي الاول الذي اصدره عام ١٨٩٨ وبين ما اسقطه شوقي عندما اعاد طبع ديوانه عام ١٩٢٦ وعشرات من القصائد التي عـدل شوقي الفاظها وعباراتها وعشرات القصائد التي حجبها شوقي ما يتصل بمدائحه لتوفيق وعباس ، وما يتصل بهذا من هجائه لعرابي في عديد من القصائد وكذلك ما يتعلق باشعاره الاخرى التي كان ينشرها بدون توقيع او بتوقيع رمزي مثل «النديم» و «السائح» و « ش » و «انا» و شرم برم » و « محتفل » و «شاب مصري» .

ولا شك ان كشف هذا التراث للشاعر العربي العبقري عمل رائع جدير بتقدير الباحثين والمؤرخين على السواء فقد تكون خسارة كبرى للادب العربي ان تظل هذه الخمسة الاف من ابيات الشعر مدفونة في بطون الصحف والمجلات ، ليس فقط لقيمتها الادبية ، ولكن لانها تلقي اضواء جديدة على شخصية شوقي وملامحه النفسية وحيـاته وتفكيره ، فان شوقي حين طبع ديوانه فـي حياته كان حفيا بان يبرز صورة ادبه ونفسه في ابهى حللها وكذلك حرص ابناؤه وآلـه في الجزئين اللذين طبعاهما من بعده ، اما اليوم فان الباحث المؤرخ الدكتور محمـد صبري انما يضع امامنا «شوقي» في صورته الحقيقية عاريا من كل تذويق وافتعـال وتعمل . وهذه خدمة جليلة القدر للباحثين والمؤرخين وكتاب التراجم في سبيل رسـم صورة صادقة لهذا الشاعر الفحل الذي كان يختفي احيانا وراء الرموز ليقول ما في نفسه من هجاء لعرابي او لجريدة المقطم او للمويلحي وغيرهم .

واذا كان شوقي قد حجب جانبا من شعره لظروف حياته او للظروف السياسية التي كان يعيشها فاننا الان في حل من هذه العوامل ، فقد اصبح شوقي وشعره ملكا للتاريخ ، ولذلك فان هذا العمل الضخم الذي قام به الدكتور محمد صبري سيكون موضع تقدير التاريخ والبحث العلمي، وان صورة شوقي وحياته وتاريخه الادبي الذي كتب في عشرات من الدراسات سيصبح ناقصا او محرفا بعد ظهور هذا العمل الجديد .

ولقد كان الدكتور صبري جديرا بان يقوم بهذا العمل لانه قـد بدأ حياته الادبية معاصرا لهذا الجيل كله متأثرا به اذ نظم في مطلع حياته الادبية الشعر واصـدر عام ١٩١٠ كتـاب « شعراء العصر » فكان على حد قوله « في تيار الحركة الادبية الكبرى التـي بـدأت في اوائل القرن ، وكان على اتصال برجالها جميعا » وقد عرف اسماعيل صبري عام ١٩١١ وتردد على المنفلوطي قبل ذلك (١٩٠٩) حيث ارشده الى كتاب « الوسيلة الادبية » وكتب له مقدمة كتابه « شعراء العصر» وعرف « حافظ » و « شوقي » ، وقد عني بدراسة الشوامخ فاصدر العديد من الدراسات عن امرؤ القيس وذو الرمة والبحتري .

وعني بكتابة دراسات باكرة عن البارودي واسماعيل صبـري وله كتاب عن خليل مطران جمع فيه نثره وكشف عن ذلك الجانب من حياته الفكرية الذي ظل مطويا امدا طويلا .

فاذا اضيف الى هذا ان الدكتور صبري من الرعيل الاول الـذي سافر الى اوروبا قبل الحرب العالمية الاولى للدراسة في باريس حيث احرز دكتوراه الدولة من السربون عام ١٩٢٤ باطروحته عن « نشأة القومية المصرية » وهو اول مصري احرز دكتوراه الدولة . وله الى ذلك ابحاثه الضخمة في التاريخ والادب مما يؤهله للقيام بالتحقيـق العلمي لاثار شوقي المجهولة . وقد تعرف الى الكثير منها بما سماه « انفاس شوقي » التي وصفها بانها (نمامة عليه) وقال عنها «هذه الانفاس النمامة » التي تؤلف بامتزاجها بالاسلوب امتزاج الـروح بالجسد ، ملامح الشخصية قد دلتنا في كثير من المواطن على شعـر احمد شوقي المنشور بامضاء مستعار ، كما ان ذلك الشعر «المجهول» كثيرا ما كان ينبه الاصداء البعيدة النائمة في فؤادنا فنستدل بها عليه»

وقد اشار الدكتور صبري الى نقطة البدء في هذا العمل الضخم بانه وجد في اوراقه كثيرا من شعر شوقي ، كما ان صديقا له هو اللواء علي سري قد اطلعه على قصائد مهمة نظمها شوقي احداها في «الله» واخرى في « رثاء علي بهجت » وقال : « انه وضع تحت تصرفه بسخاء مجموعة طيبة من شعر شوقي الذي لم ينشر فكان ذلك اكبر حافز لي على مواصلة البحث والاستقراء في مكتبة القلعة حتى بلغ ما جمعته حوالي مائة قصيدة واكثر وكانت مفاجأة كبرى لنا » .

وقد دعاه هذا الى الاهتداء بمعاصري شوقي من اصدقائه فلم يجد منهم حيا الا الاستاذ طاهر حقي الذي كان يصدر الجريدة الاسبوعيـة عام ١٩٠٦ .

ولم يقف عمل الدكتور صبري عند شعر شوقي وحده بل انه جمع له نثرا من نثر الكثير المنشور في مختلف الصحف من بينها رواية « ذل ويتمان » التي نشرها في مجلة الموسوعات عام ١٨٩٩ ومن بينها مقالات بلغت ٢٢ مقالة تحت عنوان « بضعة ايام في عاصمة الاسلام »

وقد تحوط الدكتور صبري لعمله شأن العلماء الباحثين فقال : « اننا لا ندعي العصمة في كل ما نسبناه لشوقي من شعر مجهول النسب ولكن في استطاعتنا ان نؤكد انه اذا كان هناك خطا فان نسبة الخطا لا تتجاوز قصائد او مقطوعات معدودات .. وحسبنا اننا وجدنا قصائد جليلة لشوقي صحيحة النسب مائة في المائة ظهرت في الصحف في صور مختلفة حتى سنة وفاته ولكنها لم تنشر في الديوان » .

ولقد اغرق الدكتور صبري الديوان بتعليقات متعددة ، كشف فيها الجوانب التاريخية المختلفة للقصائد وفصل المناسبات السياسية المتعددة التي لم يكن للقارىء العادي ان يتفهم جوانب القصائد بغير هذه الاضواء الكاشفة على الاحداث .

وفي طريق الدكتور صبري الى الديوان صحح الكثير من التواريخ المتداولة عن حياة شوقي وموضوعات شعره على نحو تحقيقي وتحليلي يكشف عن مدى الجهد في المراجعة والمقارنة بين الكتابات المتعددة . فعرض للسنوات الماضية من دخول شوقي مدرسة الحقوق وسفره الى اوروبا وعودته الى مصر وتحدث عن فترة نفيه في اسبانيا واثر الرحلتين الاولى الى باريس للتعلم والاخرى الى المنفى في اسبانيا في شعره وتطور تفكيره وفنه .

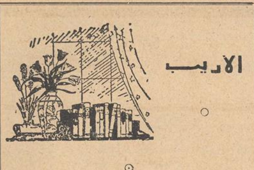
ويرى الدكتور صبري ان الفترة التي قضاها شوقي - وهي اقل من سنتين دراسة واقامة في باريس - لا تكفي للتغلغل في البيئة ودراسة ادابها ولغتها ومدنيتها بدرجة تساعده على التحرر في يسر من القديم مع التوفيق بين اداب الشرق والغرب خصوصا وانه قضى معظم ايامه هناك في الاشتغال با لنظم والادب العربي . ويرى ان قصائد المديح التي كان يرسلها من اوروبا بين سنتي ١٨٩١ و ١٨٩٣ ليس فيها جديد من المعاني وحديث الاساليب الا القليل وعنده ان شوقي ظل طول حياته كالبحر يرمي بالدر ويرمي بالصدف فهو لم يتطور كما تطور مطران .

ويرى « ان نضوج شوقي تم بعد المنفى ، ولكنه لم يتطور » ويعجب من انه في فترة الخمس سنوات التي قضاها في ربـــوع الاندلس (١٩١٥ - ١٩١٩) لم ينظم الا بعض القصائد وارجوزة دول العرب وعظماء الاسلام التي ظهرت بعد وفاته ، ولكن هذه الارجوزة وما اليها كانت محصولا ضئيلا . ولا شك ان موقع الاندلس ومشاهدها كان لا بد ان يوحي الى شاعرنا ديوانا ضخما في شعر الطبيعة وفلسفة الحياة.

ويرى ان شوقي في الواقع عاش في هذه الفترة بذهنه وخيالـــه في البيئة العربية القديمة غريبا عن تلك المواقع والمشاهد التي لا تشحذ الذهن من يعرفها ويهيم بها ويستلهمها ويقف منها موقف العابدويعيش في اجوائها . ومن هنا كانت ضآلة محصوله الحقيقي او « الصافي » من ناحية الكم والكيف معا، ويظهر ان شوقي نظم كثيرا وكتب كثيرا في الاندلس ولكن بغير نظام، كما انه لم يحسن اختيار ما يلائمه من المواضيع وطريقة معالجتها. ويرى «انه كان لاغتراب شوقي نتائج بعيدة ظهر اثرها في رواياته التي ختم بها حياته في بعض قصائده الكبرى التي نظمها بعد عودته . ولكن لا يمكن القول ان اقامة شوقي بالاندلس احدثت ثورة في ادبه كاقامته الاولى في فرنسا زمن الدراسة » ولا شك ان هذا الرأي يختلف عما ردده كثير من النقاد من اثر المنفى في شعر شوقي وفي تحوله من المديح الى مواجهة الاحداث الوطنية والاجتماعية في الوطن .

وبعد : فان كتاب « الشوقيات المجهولة » حدث ضخم في تاريخ ادبنا العربي المعاصر سيكون - كما ذكرت - بعيد الاثر في تصحيح وقائع حياة شوقي ونفسيته وترجمة حياته لما كشف عنه من شعر حجبه شوقي عن الناس او نشره بغير توقيع او بتواقيع رمزية يصور

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

تلفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ المنزل ٢٢٥١٣٩

Tél. Direc. :223819 Dle. : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

اهواءه وسخرياته وتنفساته التي طواها عن مواقع النظر . وللتاريخ ان يسجل للدكتور محمد صبري آية التقدير للجهد الضخم المبذول بهمة تجعلنا نتضاءل امامه ونحني الرؤوس اجلالا للعلم الذي وهبه اطال الله عمره وكتب له التوفيق .

القاهرة — انور الجندي

•

حبات قلب

مجموعة شعرية – خليل الخوري – ١٢٦ صفحة – منشورات المكتب التجاري بيروت – الطبعة ؟

هذا اول ديوان يصدر للشاعر الخليل ، كما اعلم ، وهو الى ذلك نتاج جديد ، يتارجح بين مستويات شعرية مختلفة ، من صعود وهبوط، ومن رسوخ في التجربة الشعرية تارة ، وانكفاء نحو الجفاف والتقرير تارة اخرى .. وقبل ان نوفي الديوان بعض حقه من النقد والتحليل، يجدر بنا ان نهمس مسبقا ان الشعر الجديد – من غير اسفاف او مكابرة – قد هبط في الآونة الاخيرة هبوطا ملحوظا يدعو الى مزيد من التامل والنظر السديد .. وآية ذلك ان معظم ما تقع عليه انظارنا من النتاجات الجديدة تتميز بالوقوف عند نقطة من التجويد لا يبرحها الشعراء الا ليقعوا في امثالها او احط منها من حيث التعبير الفني والتجربة الموحية المتماسكة .. ويبدو ان هذه الظاهرة قداستنزفت طاقات الشعراء ممن كنا نتوسم فيهم نموا مطردا او ابداعا متواصلا حتى يكاد الناقد يقع في الحيرة من امر هذه الاعمال الشعرية التي تضيف مبررات جديدة يتخذها اعداء الشعر الحديث حجة ودالة على ضعف التعابير التجديدية وهزالها ، وهو شيء لا نحب ان يرسخ في الاذهان التقليدية المحنطة ...

وشعر خليل الخوري كما يقول الاستاذ محي الدين صبحي مزيج من المغامرة الفردية في ارتياد الشهوة والموت والقربة ومن التجربة الجماعية في اكثر ما حصله وجدان الجيل الطالع من خيبات وانطباعات ومن هنا نجد ان المسؤولية التي حملها الشاعر ليست مسؤولية مسطحة عارضة ، وانما هي مسؤولية الانسان الذي يشعر بمرارة الهزيمة واليتم في هذا المجتمع الزاخر بالخوف والياس والتمزق .. لذلك ليس غريبا ان يمتح الشاعر من منابع المغامرة الفردية ويرتوي من صراعات الانسان الضائع بين تجارب الحياة الراعشة ومتاهات المحبة الخائبة، فالجو الشعري عنده يمتد من آفاق العيون والاحساسات الحالمة ثم يتسع لملكوت النفس المليئة باللحن السرمدي ويتخذ الحرف مجالا يتغنى فيه بمواقع الحيرة والالم المهزوم .. وعلى مدار هذا النمو النفسي تدور قصائد الديوان وتطرد من اوليات النظرة والمراهقة والرصد الطفولي الى الاشياء الرمادية والمناخات المرعبة الموحشة فكأن هذه الاضمامة من القصائد قد استوحاها من صبوات النفس الجامحة التي يقتلها ظما الحب فلا تملك الا الشجو العاطفي والنهلة الرومانسية الحائرة ....

اما من حيث المضمون فهناك تفاوت في كثافة التجربة ربما ادى بالتعابير الى شيء من الشكلية الخالية من اي تجسيد موضوعي متحرك على ان في الديوان لحظات حياتية تشف عن اداة طيعة وملامح شعرية غنية بالسمات الرومانسية التي يقف على اشباهها كل من قرا شعر الياس ابو شبكة ، فيبدو الخليل في بعض قصائده شاعرا رومانسيا اكلت نفسه رعشة الحس واغوته ظلال الانطفاء والخطيئة فلا يبالي ان حط به الرحيل في الشط اوضاع في المدى اللانهائي ((قصيدة رعشات)) ويبدو في احوال اخرى مزيجا من الشراهة والتيه في نعمى الجسد ((قصيدة نهدان)) ولكنه لا يعتم ان يتخذ له طريقا يجسد فيه معنى وجوده الخاص فيعلو على المرأة علوا يزري بتفاهة الاستسلام والرغبة العابرة ((قصيدة الى طفلة مدللة)) ... ويرى ان هيكله اكبر من ان يدنس طهره شبح احترافات الليالي السود ، فلقد اطعم محبوبته عمره الجميل الزاهي ، ولكنه يأسف اسفا شديدا لانه اضاعه عبثا ويا ليته اطعمه للدود كما يقول في قصيدة ((كفر)).. وهكذا يمضي الشاعر من خلال تجربته العاطفية يتدنى الى مرتبة الاستسلام تارة ويعلو الى مرتبة المتصوف الحائر تارة اخرى ..

ونستطيع ان نلمس بوضوح مبلغ شكاته من قصيدته الختامية في الديوان ((لوحات واجواء)) فهي تحمل معنى انسانيا لاذعا : الوحدة ، الحزن ، الصقيع ، ذلك هو موقف الشباب الذي حكمت عليه صروف الدهر بالانزواء والانكفاء نحو ذاته ، يفتش عن بعض السلام عن معنى الراحة والامن :

قلق يحضن اعماقي وروحي
حط في امني وارخى في جروحي
كل ما حولي الحان كئيبه
تتالى مرة الوقع ، رتيبه

فهل يعد الذي ذكرناه من موقف الشاعر العاطفي ، ما يدل على في التجربة وتجسيد لمعنى الصراع تجاه الحياة والانسانية .. الحق اننا عندما نحاسب الشاعر وفق مقاييس النقد الحديث لا نملك الا نضع شعره في مرحلة لا بد له ان يتخطاها الى مرحلة اعمق منها واوعى للمأساة والوجود الشامل ، فلم تعد المرأة هي الشاغل الاول للشعراء المعاصرين ، فهناك مواقف حياتية يمكن ان يسكب عليها الشاعر المعاصر الوانا من فيض النفس وفتوحات الانفعال المأساوي ، ويرتفع الى مستويات وجودية تدل على معاناة العصر وخلق القيم الجديدة ، فنحن حين نعبّر عن موضوعات ذاتية خاصة في الشعر لا يمكن ان نشيح بابصارنا عن الوجود العام ، فاصلح الشعر هو الذي يعكس ويجسد مظاهر الوجود العام من خلال المواقف الفردية الذاتية .. فاذا تحرينا عن الرمز والاسطورة بين ثنايا الديوان فاننا لا نجد شيئا من ذلك .. والقصيدة المعاصرة كما استقر في وعي النقاد الحديثين لا تنهض على المعاني المباشرة والافكار العارية وانما هي تصميم من الداخل ينبع من حركة الذهول التي تستغرق الشاعر فيما هو يعكس مظاهر الوجود بابعادها الانسانية الحضارية المتشابكة ..

بعد ذلك تستوقفنا في هذا الديوان لفظة طالما ذكرها الشاعر معنونا بها بعض القصائد ، تلك هي لفظة ((العيون)) مثال ذلك قصيدة ((عينان)) و ((من عينين)) و ((العيون في دمشق)) فضلا عن ترديده لهذه الكلمة مرات عديدة فما دلالة كل ذلك ؟؟ في رأيي ان العيون عنده مغزى لا يخلو من طرافة .. ان العيون عالم سحري وباب يفتح على معاني الصفاء والنقاء والسحر .. وهذه هي المعزوفة التي احبها الشاعر خليل .. فلا بدع اذا اتسعت الصورة للعينين فانقلبت الى عوالم تحملنا فوق الزمان والمكان والابد :

جزائر هي العيون هاهنا غنية الكنوز
مجاهل غاضمة الاسرار والرموز
واويح من يرودها
لانه يلهث في دروبها
يضيع بين عالم البياض والسواد ..

ترى هل تشف ((عيون)) الشاعر عن عالم غني بعصب الوجود ، ملتحم بذهول المأساة ، بالمرارة الحياتية الكبرى ؟! هذا ما نأمل ان يجسده الشاعر في قصائده المقبلة وعندها يتخطى مرحلة الرومانسية الكونية الى مرحلة وجودية رحيبة دافقة بالحركة والصراع وبشارة الخلاص .

البصرة – العراق — عبد الرحمن علي



● انفاس العشيات – مجموعة شعرية – ميشال ابو شهلا – تقديم يوسف ابراهيم يزبك وصلاح لبكي – الغلاف والرسوم بريشة بيار صادق – اشرف على هذا الديوان يوسف ابو حلقة – ١٥٨ صفحة – حجم كبير منشورات مؤسسة الجمهور للطباعة والنشر ببيروت – مطابع مؤسسة الجمهور الجديد في بيروت .

● معركة الزلاج ١٩١١ – تاليف الجيلاني بن الحاج يحي ومحمد المرزوقي – ٢٠٤ صفحة – مع عدة صور تاريخية – منشورات مكتبة المنار بتونس – مطبعة المنار بتونس .

● مراكش بعد الاستقلال – تاليف روم لاندو – ترجمة خيري حماد – ٣٥٢ صفحة – حجم كبير – منشورات دار الطليعة ببيروت – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● غرة العرب يزيد بن مزيد الشيباني ، القائد الاعلى لدولة هارون الرشيد – تاليف الدكتور عبد الجبار الجومرد – ٣٥٢ صفحة – حجم كبير – منشورات دار الطليعة بيروت – مطابع دار الفندور بيروت .

● باسم الحرية ، ايضاح للعقائدية الافريقية – تاليف كوامي نكروما رئيس غانا – ترجمة خيري حماد – مصمم الغلاف وضاح فارس – ٢٧٦ صفحة – حجم كبير – منشورات دار الطليعة ببيروت – مطابع الفندور بيروت .

● زمن الرعب – رواية – تاليف انعام الجندي – مصمم الغلاف اسماعيل شموط – ٢٣٢ صفحة – منشورات دار الطليعة ببيروت – مطابع دار الكتب بيروت .

● فرق ... تخسر ، ثورة العرب ١٩٥٥/١٩٥٨ – تاليف ميشيل ايونيدس – ترجمة خيري حماد – الغلاف تصميم شموط اخوان – ٢٠٨ صفحة – حجم كبير – منشورات دار الطليعة بيروت – مطابع دار الفندور بيروت .

● ازمة المجتمع العربي المعاصر ، المسالة الحضارية – تاليف مدثر عبد الرحيم الطيب – ٨٨ صفحة – منشورات دار الطليعة ببيروت – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الشيوعية – تاليف هارولد لاسكي استاذ الاقتصاد السياسي في جامعة لندن – ترجمة خيري حماد – ٢١٦ صفحة – حجم كبير – منشورات دار الطليعة بيروت – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الرسالة العامة للاب الاقدس يوحنا الثالث والعشرين : الكنيسة أم الشعوب ومربيتها – ترجمها وعلق عليها الياس نجمه مدرس الاقتصاد السياسي في معهد الروح القدس بالكسليك – ١١٢ صفحة – الجزء ٤٦٩ من مجلة « المسرة » في حريصا بلبنان .

● فن الاقناع ، المرشد للتفكير المنطقي – تاليف ليونيل روبي – ترجمة الدكتور محمد علي العريان – مصمم الغلاف محمد اسماعيل صالح – ٤١٦ صفحة – حجم كبير – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة – مطابع مؤسسة طباعة الالوان المتحدة بالقاهرة .

● الاقمشة – تاليف استر نابيرت – ترجمة السيد حامد زعلوك – ٤٨ صفحة (مصورة) سلسلة الف باء – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات دار النهضة العربية (؟) – مطبعة مصر (؟)

● المفكرة الريفية – امين نخلة – الطبعة الرابعة – وفيها ملحق اول « المراسلة المطرانية » وملحق ثان « اقوال الكتاب في المفكرة » – ١٨٨ صفحة – منشورات دار الكتاب اللبناني في بيروت – مطبعة المطبعة في جونيه لبنان .

● الشمس المصلوبة – مجموعة قصص – تاليف خضر نبوه – طبعة ثانية – ٨٠ صفحة – مطابع دار الغد (؟)

● قصة الافندي – قصة تاليف محمد سعيد دفتردار – ٤٠ صفحة – حجم كبير – منشورات دار المنهل في مكة – مطابع دار الكتاب العربي بالقاهرة .

● مسلم بن الوليد ، صريع الغواني – تاليف فؤاد حنا ترزي أحد اساتذة الدائرة العربية في جامعة بيروت الامريكية – ٢١٦ صفحة – حجم كبير – منشورات كلية العلوم والاداب في جامعة بيروت الامريكية – الحلقة ٣٦ من سلسلة العلوم الشرقية – مطابع دار الكتاب في بيروت .

● Di'bil b. 'Ali — The life & writings of an early 'Abbâsid poet — by Leon Zolondek Ph.D. professor of Semitic languages and literatures in the University of Kentucky — 200 pages — published and printed by the University of Kentucky Press in U.S.A.

● New Frontiers for Freedom — by Erwin D. Canham — adapted by Ralph K. Andrist — 128 pages — Fawcett Publications, New York.

● Yellow Jack — A play — by Sidney Howard and Paul de Kruif — adapted by Cryssie A. Hotchkiss — 128 pages — Fawcett Publications, New York.

● The Friendly Persuasion — by Jessamyn West — adapted by Kathleen Walker — 128 pages — Fawcett Publications, New York.

● Paths to the Present — by Arthur M. Schlesinger — adapted by Ruth B. Murray — 128 pages — Fawcett Publications, New York.

● Leap through the Curtain — by Nora Kovach and Istvan Robovsky — as told to George Mikes — adapted by Mary Jeanne Blough — 128 pages — Fawcett Publications, New York.

● Washington Irving — by Anya Seton — illustrated by L. Vosburgh — 128 pages — Ballantine Books, New York.

● Selections from Washington Irving — adapted by Virginia French Allen — 128 pages — Ballantine Books, New York.

● Six Stories by Edgar Allan Poe — adapted by Elinor Chamberlain — 128 pages — Ballantine Books, New York.

● Horse and Buggy Doctor — by Arthur E. Hertzler — adapted by Lucile Durkin — 128 pages — Ballantine Books, New York.

● Fifth Chinese Daughter — by Jade Snow Wong — adapted by Kathleen Walker — 128 pages — Ballantine Books, New York.

الراحة الفكرية ضرورية هنا ، فان القيام بالتمارين البدنية في حدود المعقول ضروري ايضا ، فتوفير هذا التمرين لجسم الانسان ، يعتبر اكبر ضمان لعدم اصابته بالانسداد القلبي .

واخيرا يجب تناول كميات قليلة من الاطعمة وتحاشي تناول الدهن وغيره من المواد التي باستطاعتها تشكيل الرواسب في الاوعية الدموية .

واذا توصل الى الجمع بين الراحة الفكرية والتمارين البدنية ، وامكن البعد عن الترهل الجسمي ، وضبط النفس في الوقت المناسب ، فان ذلك يكون اكبر ضمان لوقاية الجسم من الانسداد القلبي .

في كلمات ...

• حذر طبيبان بريطانيان المدمنين على تعاطي الاسبرين من ان الادمان على الاسبيرين يؤثر في المعدة ويجعلها تنزف بالدم ولذلك يعد الاسبرين خطرا بالنسبة لمرضى القرحة المعوية . وقد جاء هذا التحذير في بحث علمي نشره الطبيبان وقالا فيه ان الانجليز ابتلعوا اربعة الاف مليون حبة من الاسبرين في العام الماضي .

• استطاع الدكتور غوردون الاختصاصي بالاشعة في مستشفى الامراض العصبية في لندن صنع جهاز لتشخيص العطب الحاصل في الدماغ ومعالجة بعض الامراض العقلية والعصبية . ويولد هذا الجهاز امواجا فوق الصوتية للقيام بعملية التشخيص السريع للخلل او العطب الحاصل في الدماغ عقب حادثة خطرة . وبامكانه تشخيص سرطان الكبد وداء ذات الجنب ووجود الصديد والالتهابات في الجهاز الهضمي . كما باستطاعته معالجة بعض امراض عصبية كداء الالتهاب الدماغي الذي يسبب هذيانا حادا وكذلك معالجة داء يعرف باسم «باركستون» الذي يحدث الرجفان او تشنج الاعصاب وجفافها . ولقد جرت جميع هذه التجارب على الحيوانات فاعطت نتائج ممتازة لذلك بدات المستشفيات في استخدام هذا الجهاز .

• بدات السويد في اجراء تجارب على تطعيم ١٢٠ شخصا بالمصل المضاد لمرض السرطان . والمصل الجديد يحتوي على عدة خلايا ميتة من السرطان . وستظهر نتيجة هذه الابحاث في خلال ثمانية اشهر .

• اصدر موزعو احد العقاقير الطبية الالمانية التي تستخدم في علاج الارق اوامر الى جميع الصيدليات في بريطانيا باعادة كل ما لديها من هذا العقار فورا بعد ان اتضح من التقارير التي تلقتها ان هذا العقار – هو في شكل حبوب – قد يؤثر في انجاب اطفال غير طبيعيين .

• استطاع علماء الطب في جامعة هايدلبرغ اكتشاف طريقة جديدة لتشخيص امراض الكليتين في وقت مبكر ، واعلن البروفسور جوزف بيكر ان هذه الطريقة تتلخص في ان يضاف الى سائل الاختبار الذي يدخل الى الكليتين لالتقاط الصور لهما بالاشعة السينية جزء من اليود المشع ١٣١ ، فيقوم بتبيان شكل افراز الكليتين والدورة الدموية فيهما ، وتقوم خلايا تصوير ضوئية بتسجيل هذه الاشارات بواسطة خطوط بيانية ترسم على لوحة خاصة . وترجع اهمية هذه النظرية الى سرعة تشخيص عمل الكليتين ، وسرعة افراز مواد الفحص التي تدخل اليهما .

• توصل رجال الابحاث الطبية في بريطانيا الى استنباط نوع من حبوب كيميائية لتنظيف الاسنان بصورة فعالة كالفرشاة . وينحصر عمل هذه الحبوب في تهييج سيل اللعاب وزيادة كميته . وتجري الان التجارب على هذه الحبوب التي توازي فعاليتها في الاسنان قرابة ٧٢ بالمائة من فعل الفرشاة .

• استطاعت شركة بريطانية ابتكار جهاز شبيه بساعة اليد يسجل عدد ضربات القلب ودقات النبض بواسطة اطلاق ومضات كهربائية تمكن الطبيب والمرضة من معرفة حالة المريض الصحية وحالة قلبه . وعندما يوصل هذا الجهاز بمعصم المريض يحول النبضات الى ومضات ضوئية واشارات كهربائية يمكن ان ترى على اطار خاص كما يمكن ان تسمع بواسطة جهاز ميكروفوني موضوع على اذني الطبيب وهو بعيد عن المريض .

• يعتقد الدكتور فيليب ولسون ان آلام الظهر واوجاعه، وهي من اكثر الاوجاع انتشارا بين الناس ترجع الى سوء استقامة القامة ، لانه امر يتصل بالضعف الالي للعمود الفقري . ويقول الدكتور ولسون ، ان استخدام فراش صلب لتقليل انحناء الجسم ليلا يعد عاملا مساعدا هاما . وكذلك الامر في الجلسة المستقيمة . اما المقاعد الوثيرة فهي سيئة الاثر ، وكذلك مقاعد السيارات من وجهة نظر استقامة القامة . ومما يساعد كثيرا على منع اوجاع الظهر المهارة في استخدام السيقان والاذرع في رفع الاشياء . كذلك يعين على الحيلولة دون الاصابة بآلام الظهر اتباع التمرينات الرياضية الخاصة بالظهر وبالعمود الفقري .

• الطبيب البريطاني جورج هاريسون الذي تناول مع اثنين من زملائه طعاما ملوثا بالاشعاعات الذرية لمدة شهر كامل ، اعلن اخيرا انه يتمتع بصحة جيدة .. وقال هاريسون الذي يبلغ من العمر ٥٧ عاما ، انه تناول رطلا من الخبز يحتوي على مواد مشعة ، تساوي عشرة امثال المواد الموجودة في الخبز العادي الى جانب رطل لبن ملوث بالاشعاع الذري ايضا . وكان الهدف من التجربة ، التي قام بها الدكتور هاريسون وزملاؤه اكتشاف مدى خطورة تناول اطعمة ملوثة بالمواد المشعة . وقد ذكر الدكتور هاريسون ان التجربة اثبتت انه لا خطر من المواد المشعة الموجودة في الجو ، والتي ستسقط في الربيع القادم ، نتيجة التجارب الذرية .

• شرب الدكتور توشيو ايكو العالم الذري الياباني مزيجا من القهوة وخمس وحدات من مادة « سترونيوم – ٨٥ » المشعة ، يوم ١٦ اغسطس الماضي لمعرفة تاثير الاشعاعات على الجسم . وقد اكتشف اخيرا ، وجود جزء من المادة المشعة ، في عظام الكتف والحوض والعمود الفقري .

• جاء في مقال علمي للعالم البريطاني الدكتور لوسون : ان في جسم الانسان المتوسط الحجم مقدارا من الدهن يكفي لصنع سبع قطع من الصابون . ومن الكربون لصنع سبعة آلاف قلم رصاص . ومن الفوسفور لصنع رؤوس ٢٢٠٠ عود كبريت . ومن المغنيسيوم لجرعة واحدة من الاملاح المسهلة . ومن الحديد لصنع مسمار متوسط . ومن الكبريت لتطهير كلب واحد من البراغيث . ومن الماء لملء برميل يتسع لـ ١٠ جالونات .

• ذكرت وكالة تاس ان عضوين من الهيئة الطبية لجامعة موسكو قد ابتكرا وسيلة للحقن عن طريق « المجوهرات الطبية » . وتتلخص هذه الطريقة في ان تشبع قطعة من المطاط العادي بالمحلول المراد الحقن به وتثبت هذه القطعة في الاساور والخواتم والاقراط وعندما تلبس هذه المجوهرات لمدة اسبوعين فان المصل يخترق الجلد تدريجيا ويؤدي الى نفس النتيجة كما لو كان قد حقن في الجسم .

• قام جراحو اكاديمية الطب العسكرية في لينتجراد بعدة عمليات ناجحة لاستبدال اجزاء من اوعية الدم والشرايين التالفة في جسم الانسان ، باوعية دموية صناعية . ونجح العلماء السوفياتيون في اختراع مسامير من الدم المجمد مضافا اليه بعض العناصر المشابهة للبلاستيك وتستعمل لتقوية الكسور التي تحدث في الجسم . وتحتمل هذه المسامير ثقلا قدره ١٨٥ كيلوغراما وبعضها يحتمل ٥٠٠ كيلوغرام، اي اقوى من العظام .

● اكد تقرير نشرته في واشنطن الشركة الوطنية الجيوغرافية ان الانسان يستطيع ان يعيش ١٤٠٠ سنة اذا ما خدر مثل بعض الحيوانات لينام طيلة فصل الشتاء . ويقول التقرير الانف الذكر ان التخدير اثناء فصل الشتاء يطيل حياة الحيوان الذي يتعرض للتخدير عشرين ضعفا بالنسبة لحياة الحيوانات المماثلة التي تبقى ناشطة طيلة فصول السنة. ويضيف التقرير انه من المحتمل ان تكتشف الاسرار الفيزيائية لعملية التخدير ومن ثم تطبق على الانسان . ويشير التقرير الى ان هذا الاحتمال لا يزال بعيدا جدا لكنه يشكل اهمية بالغة . وهكذا فان الرجال الذين يخضعون لعملية التخدير سيكون بوسعهم ان يقوموا برحلات داخل السفن الفضائية لمئات السنين وستكون حاجة هؤلاء من الغذاء والاوكسيجين بنسبة واحد بالمائة من حاجة الاشخاص العاديين .

● عمليات جريئة في القلب عن طريق شل القلب والتنفس واعضاء الجسم كلها عن العمل تمت اخيرا في لندن .. لقد استعمل الاطباء في العمليات الخطيرة جهازا جديدا صممه العالم البريطاني دافيد شور ويعمل على تخفيض درجة حرارة الجسم الى الدرجة التي لا يتوقف معها القلب فجأة قبل انتهاء العملية . وهذا الجهاز يتصل باوعية الدم ودفعه الى القلب باردا ويسيطر على درجة الحرارة دائما . والعالم البريطاني قال ان فكرة الجهاز اخذها عن صمامات الثلج التي كان يستعملها الجراحون في اجراء العمليات الدقيقة . وصمامات الثلج لم تكن تستطيع ان تتحكم في درجة حرارة الجسم المطلوبة حتى تنجح العملية .

● تمكن علماء مدينة كييف في الاتحاد السوفياتي من اعادة الحياة الى الجسم الميت بعد مرور ١٥ - ٣٠ دقيقة على حدوث الموت السريري بواسطة جهاز يسمى « قلب - رئتان » يرسل الى الجسم الذي يراد احياؤه تيارات قوية من الدم الغني بالاوكسجين . فينظف هذا الدم بسرعة المواد الضارة التي تراكمت في الانسجة خلال فترة الاحتضار او الموت السريري ، بحيث تبطأ او توقف عملية تلف خلايا الدماغ والاغذية ، بشكل مرض ، في جميع الانسجة . وقد تبين ان التدبير الصناعي يلعب دورا كبيرا في عملية الاحياء فقد امكن بواسطته اطالة الموت السريري المصحوب بنزف شديد مدة ٢٠ الى ٣٠ دقيقة لدى القرود وحتى ساعة لدى الكلاب ، الى ان عادت تماما الوظائف الحيوية الى حالتها الطبيعية .

● ورد في تقرير لوزارة الزراعة الاميركية ان مادة تضاف عادة الى المحاليل الزراعية لجعلها تلتصق بالنباتات تساعد بعض النباتات ايضا على الوقاية من بعض الامراض الفيروسية وقد وجد علماء مركز الابحاث الزراعية في بلتسفيل بولاية ماريلاند ان المادة الكيميائية « دايكوتيل سوديوم سيلفوسوسينات» المعروفة تجاريا باسم (دوس) تخفض كثيرا نحو خمسة امراض فيروسية في انواع من النباتات . وتجري حاليا تجارب جديدة لمعرفة ما اذا كانت امراض اخرى يمكن مكافحتها بواسطة المادة نفسها . ويقول العلماء انهم لا يعلمون بعد كيف يمنع (دوس) الفيروسات من النمو ولكنهم استطاعوا ان يربطوا بين مقدرته على ذلك ومزاياه في تخفيض قوة شد الماء السطحية . وقد تبين ان هذه المادة شديدة الفعالية ضد فيروس الموزايك الذي يعتري ورق التبغ والفاصوليا والفصة ويجعل الورق يصاب ببقع بلون الصدأ .

● سيتم انشاء اول معهد دولي لابحاث الروماتيزم في لندن وسيعمل فيه خبراء واختصاصيون من شتى انحاء العالم . وسيتم انشاؤه بفضل تبرع من احد المحسنين وقرينته .

● تمكنت شركة اندستريال نيوكلونكس في امريكا من صنع اجهزة جديدة تشرف على قسم هام من صناعة الورق بكمية صغيرة من الطاقة الذرية . ويقوم الجهاز الجديد آليا بتنعيم وصقل الورق خلال اطوار الصنع كما وانها تنظم وزن الورق وتعادله . وهذا الجهاز الذي يستخدم الطاقة الذرية يتحرك مجيئا وذهابا فوق صحيفة الورق وتحتها فيما هي تخرج بسرعة من جهاز صنعه ،ويطلق اشعاعات غاما من نظير معدن السترونتيوم المشع وتخترق الاشعاعات صحيفة الورق فتحدد سماكتها وترسل اشارات تلقائية لضغط الورق ومعادلة سماكته وذلك بتعديل الصمامات التي تخرج منها عجينة الورق . وبالاضافة الى ذلك يقوم الجهاز بوزن الورق ويقوم ايضا بتعديل مجمل كمية عجين الورق التي تستخدمها آلة صنع الورق . وتقول الشركة صانعة الجهاز انه ادخل توفيرات كبيرة في صناعة الورق .

● ظهرت في اسواق امريكا اجهزة صغيرة لاستقصاء الغبار الذري وقياس درجة الاشعاعات الذرية في الجو في اي وقت من النهار او الليل . والجهاز الجديد في حجم قطعة النقود الفضية ولا يتجاوز وزنه ٤٠ غراما وهو يسجل لحامله درجات الاشعاع الذري في الجو لحظة بلحظة .

● تقوم مجموعة من الشركات الانكليزية ببناء محطة ذرية جديدة في جنوب اسكتلندا تحت اشراف شركة جنرال الكتريك البريطانية التي هي ايضا مسؤولة عن بناء محطة ذرية من هذا الطراز في اليابان . وسيكون انتاج المحطة الاسكتلندية ٣٢٠ الف كيلواط من مولدين ذريين يقومان على استخدام اليورانيوم الطبيعي وقودا لهما مع الاعتماد على الغاز المبرد المستمد من الغرافيت كمعدل وملطف يحول دون تفكيك ذرات اليورانيوم بشكل هائل السرعة كيلا تضيع الحرارة بصورة لا تمكن الافادة منها . وسيتم انجاز المحطة المذكورة عام ١٩٦٤ وسيكون لتصميمها العبقري الابتكار من ناحية تكتيكية اعظم الاثر في انتاجها .

● تقوم مختبرات مصانع مارتن قرب مدينة دنفر في الولايات المتحدة باجراء دراسات حول سلاح جديد يسمى « اشعة الموت » وهو سلاح سري للغاية ، وهذا السلاح النووي يمكن ان يحول المدن والاجسام التي يصادفها الى بخار غازي ، وتولد الاشعة المذكورة حرارة تبلغ مئة الف درجة وقد تبلغ مليون درجة ونتائج هذه الاشعة هي كنتائج اشعة الفرن الشمسي .

● انهى العلماء الاميركيون العاملون في مختبرات بروكهافن الوطنية سلسلة من التجارب الاساسية في الفيزياء ، بواسطة المحطة الذرية الجديدة التي تعد اقوى واضخم محطة ذرية في العالم اليوم . والجهاز الجديد يطلق البروتونات اي ذرات الهيدروجين في انبوب اسطواني مفرغ دائرته نصف ميل ، وله قدرة على اطلاق اشعاع من البروتونات بقوة هائلة تبلغ ٣٣٠٠٠ مليون فولط ، وهي اكبر قوة امكن للعلم الحصول عليها حتى الان . وادت هذه التجارب الى خلق تيار من الانتي بروتونات ذات الشحنة السلبية بدلا من الشحنة الكهربائية الموجبة.

● استطاع فريق من الفيزيائيين التابعين لجامعة ستانفورد الايغال بعيدا في الكشف عن اسرار الذرة وتركيب نواتها . وقد صرح الدكتور روبرت هوفستاتر قائلا : «اذا صحت النتائج التي توصلنا اليها يكون عنصرا البروتون والنيوترون ابسط تركيبا مما كان يظن. ويبدو انهما شكلان مختلفان لكائن واحد هو النيوكليون ان تركيب الجزيئات يكاد يكون واحدا في كليهما ما عدا الشحنة الكهربائية . وكل منهما يتألف من سحب خارجية متكونة من عناصر الميزون المتحركة ومن سحب داخلية كثيفة ومن قلب او محور صلب جدا . وكل من سحب الغيوم والمحور القلبي في البروتون مشحون بالكهرباء الايجابية ، بينما النيوترون له شحنة متعادلة اذ ان الغيم الداخلي سلبي الشحنة والغيم الخارجي والمحور القلبي موجب الشحنة .

● قالت شركة جنرال الكتريك في لندن

ان الصاروخ البريطاني المضاد للطائرات من نوع « سي سلاغ » قد نجح تماما في التجارب التي اجريت عليه اخيرا وكانت الشركة المذكورة قد زودت الاجهزة والمعدات اللازمة لتوجيه سير الصاروخ . وقد اجريت التجارب على الصاروخ من على ظهر السفينة الحربية « فيرال نس » التابعة للاسطول الملكي . وقد اطلق ١٦ صاروخا اصاب كل صاروخ منها الهدف . وكان الصاروخ يوجه بالرادار الموجود في الصاروخ . وهناك جهاز كهربائي يحول هذه الاشارات الى حركات .

● تمكنت الشركة الاميركية انترناشينال بيزنس ماشين من اختراع طريقة جديدة تجهز بها طائرات المستقبل التي تفوق سرعتها سرعة الصوت يستطيع معها الطيار ان يرى في كل لحظة مكانه على خريطة متحركة ، مهما كانت حالة الجو او سرعة الطائرة او ارتفاعها. والجهاز هو عبارة عن نصف كرة زجاجية تحمل خريطة مفصلة لنصف العالم وتتصل بجهاز الطائرة الالكتروني . ويضيء شعاع جزءا صغيرا من نصف الكرة ويعكسه على شاشة تقع في ماتى عين الطيار . وبينما تكون الطائرة طائرة تدور الحاسبة هي ايضا حول نصف الكرة وتنسق بين حركتها وحركة الطائرة ودوران الارض .

● قالت وكالة تاس السوفياتية ان احد هواة اجهزة الراديو السوفيات في لاتفيا صمم جهازا تليفزيونيا يستطيع التقاط الاشارات التليفزيونية التي تعكسها اجزاء الشهب ، كما يتلقى برامج تذيعها ٥٠ محطة تلفزيون في العالم على بعد اقصاه ٣٥٠٠ ميل

● تمكنت شركة فيرستون وشركة لاتكس من صنع مزيج جديد من المطاط على انساب معينة من المطاط الطبيعي والمطاط الصناعي يكتسب لدى مزجه بعضا ببعض مزايا عظيمة منها زيادة المرونة ٢٠ في المائة عن مرونة المطاط الطبيعي وقوة اكبر على احتمال الضغط والانفجار والحرارة .

● اخترعت مصانع الورق في المانيا الشرقية ورقا يقاوم الاحماض والحريق . ويصنع من آلياف من الزجاج . الورق يقاوم الحرارة حتى درجة ٦٠٠ مئوية .

● بدات معامل بريطانية تصنع علبا اسطوانية الشكل لحفظ الطعام من الالومينيوم بدلا من صفائح التنك المستخدمة في هذا الحقل حتى الان . وبامكان المعامل المذكورة ان تنتج عشرين مليون علبة في العام .

● توصلت شركة بريطانية الى ابتكار نوع جديد من البطاريات التي تولد الكهرباء عندما توضع في الماء المالح . وهي موضوعة في علبة من مادة البوليثين . والعلبة ذات جدارين الاول مصنوع من كلورات الفضة والثاني من مزيج المنغنيز . وباستطاعة هذه البطارية ان تعمل في مختلف درجات الحرارة ويمكن استخدامها في عدة مجالات منها معدات صيد الاسماك والسترات المعدة لانقاذ الغرقى وكذلك الاضواء المستعملة في المطارات .ومنها ما يصح ايضا لتيسير اجهزة الراديو لدى الحاجة والاقتضاء وفي حالة انقطاع التيار الكهربائي العام . وهذا النوع من البطاريات يصنع عادة من صنف اقوى من الاصناف الاخرى لزيادة مدى فعاليته .

● تمكنت احدى الشركات البريطانية اخيرا من بناء يخت بخاري طوله عشرة امتار ويتالف من هيكل مصنوع بكامله من الاسمنت المسلح. وقد استطاعت الشركة ان تبني الهيكل من الاسمنت المسلح بطريقة جديدة لم يكشف النقاب عنها بعد . ومما يذكر ان هذا الشكل الجديد من الاسمنت المسلح الذي يطلق عليه اسم « سيكريت » هو اقوى من الخشب والانسجة الزجاجية واخف وزنا من الصلب ، كما ان كلفة البناء به لا تزيد على نحو نصف كلفة البناء بالخشب . وهو لا يحتاج الى الصيانة من حيث الدهان .

● ابتكرت احدى شركات الفزل والنسيج في يوركشاير ، في شمال انكلترا طريقة جديدة لمعالجة الخيوط الصناعية بحيث تحولها الى خيوط لها خصائص الصوف واهمها الدفء . وقد صرح مدير شركة نيوهيل وابرنشو المحدودة بانه اطلق على هذه الطريقة اسم « ايرفل » وان كلفة الانسجة المحاكة بها هي اقل بكثير من الانسجة المحاكة بالطرق العادية .

● مياه البحر في حركة دائمة وفقا للتيارات والمجاري المختلفة التي تسيطر عليها . وبعد تجارب وابحاث عديدة قام بها الدكتور اوجين لافون من العلماء العاملين في المختبر الالكتروني التابع للاسطول الاميركي ، عثر على تيارات مائية في المحيط الهادي في عرض الشاطيء الاميركي تجري بصورة عمودية اي ان المياه السطحية تهبط الى اسفل لتحل محلها مياه فورية ترتفع الى سطح البحر . وتبين من الابحاث التي اجريت ان مثل هذا التيار المائي موجود في كل من المحيط الاطلسي والهندي وخليج المكسيك اي ان هذا النوع من التيارات منتشر في جميع بحار العالم .

● نشرت مجلة الطبيعة الامريكية بحثا للدكتور جورج كلاوس من جامعة نيويورك ، والبروفيسور بارتولوميو ناجي من جامعة توردهام وصفا فيه ما سمياه بالعناصر العضوية للشهب الخمسة التي فحصاها ، وهي على الاصح قطع من الشهب التي تساقطت من الجو منذ عديد من السنين ، واحد هذه الشهب يوجد في متحف التاريخ الطبيعي في « سوث كنسجتون » منذ ٩٧ عاما ، ويزن اكثر من رطل ، وقد تساقط في جنوب فرنسا عام ١٨٦٤ ، والثاني عثر عليه في افريقيا الوسطى عام ١٩٣٨ . وكشف تحليل هذه الشهب المتساقطة عن احتوائها على غازات معينة لا توجد الا في الاجسام الحية . وتساءل البعض كيف يمكن للحياة ان تتوالد وتستمر في كواكب تصل فيها البرودة الى حد الجليد ، ورد البروفسور برنال من كلية بيركليك فقال انه من المحتمل ان الكوكب قد غمره الدفء في مدة معينة بتاثير عناصر الاشعاع الذاتي ، مما اتاح لبعض العناصر الحية ان تتطور في حقبة ما داخل ذلك الكوكب .

● اعلن العالم السوفياتي فزيفولود ترويتسكي ان سطح القمر ليس مغطى بطبقة كثيفة من الغبار كما كان الاعتقاد سائدا حتى الان بل بطبقة سميكة من مادة صلبة ذات مسام تشبه الياف القطن المكبوس وتزن نصف وزن الماء فقط . وقال ان درجة حرارة هذه الطبقة ، الى عمق يتراوح بين ثلاث اقدام وست اقدام، ثابتة على ٥٠ درجة مئوية تحت الصفر . ويعتقد البروفسور ترويتسكي بان القمر ليس كتلة باردة لا تصلح للحياة بل ان مركزه حار يبعث بالحرارة الى جميع الطبقات ، ولكن تاكيد هذا الاستنتاج يحتاج الى مزيد من التجارب .

● اعلنت صحيفة كومسومولسكايا برافدا السوفياتية ان رجال الحفريات على وشك اكتشاف كنز ضخم من الجوهرات القى به نابليون في بحيرة سوفياتية وهو يتقهقر من موسكو عام ١٨١٢ . ويقوم العلماء بمسح هذه البحيرة التي تبعد نحو ١٤٠ ميلا عن مدينة موسكو .

● تلقت مصلحة الاثار السورية من بعثة اندره بارو المحافظ الرئيسي في متحف اللوفر التي تعمل في التنقيب في تل حريري (ماري) تقريرا ينبئها بان اعمال الحفائر الاثرية اتجهت خلال الاسبوعين الاخيرين لاظهار مبنى اثري ابعاده كبيرة جدا ، ويظن انه معبد يعود عهده الى ما قبل الزمن الصارغوني ، والمعتقد ان حرم المعبد الذي تقام فيه العبادات واقع تحت الزقورة التي بنيت فوقه . وقد عثرت بعثة اندره بارو في ارض اجنحة المعبد التي جرى كشفها ، على آثار على غاية من الاهمية وهي اجزاء من لوح من الشيست المزين باشكال من العاج ، وتتجلى في هذه المجموعة الاثرية صنعة فنية دقيقة جدا ، لم يعثر على اثار قبلها تجلت فيها هذه الدقة لا في ماري ، ولا في اي منطقة اثرية جرى التنقيب فيها في بلاد الرافدين .



ذكرى شاعر الارز شبلي الملاط

●

في الساعة العاشرة من نهار الاحد الواقع في ١٠ كانون الاول الماضي (ديسمبر) ، اقيمت في قاعة قصر اليونسكو حفلة خطابية كبرى تكريما لشاعر الارز المرحوم شبلي الملاط ، تكلم فيها الشيخ نديم الجسر ، امين نخله ، فؤاد صروف ، بدوي الجبل عن سوريا ، عفيف الطيبي ، انطون قازان ، سعيد عقل ، كمال جنبلاط ، بولس سلامة ، فؤاد افرام البستاني، حافظ جميل عن العراق ، الياس ربابي ، احمد رامي عن العربية المتحدة، رشيد كرامة رئيس الحكومة ، وجدي ملاط عن اسرة الفقيد .

وبتكريم الملاط ابن الارز الاحب ، يكرم لبنان شاعرا كبيرا من شعراء العربية ، يكرم انسانا خلف لهذا الجيل وللاجيال المقبلة انتاجا شعريا خالدا قوي السبك فصيح العبارة بليغ الديباجة في شتى مرامي الشعر وغاياته .

نشاته ودراسته

ولد شبلي الملاط في بعبدا بلبنان عام ١٨٧٨ من اب يدعى يواكيم ، وام هي عطر ابنة شبلي ياغي الحلو . دخل مدرسة الضيعة وكان معلمه الاول فيها الراهب بطرس ثابت الذي دفع اليه ديوان ابن الفارض ليقرأه . فاستظهره بسرعة . وطارت شهرته بحسن الالقاء منذ نعومة اظفاره . وفي التاسعة من عمره كان يقرأ ـ عندما كانت تنتظم حلقات الشتاء في قريته ـ قصص عنترة والمهلهل وسيف بن ذي يزن و «تفريبة» بني هلال. فكثر المعجبون به . وكان له صوت جميل ومنطق حسن .

وبعد الحداثة ادخله اخوه الشاعر الخالد تامر الملاط مدرسة في بلدة جبيل ، لم يبق فيها سوى سنة واحدة بسبب اقفالها على اثر وفاة مؤسسها بطرس شحاده . فانتقل الى مدرسة الحكمة في بيروت يدرس المعاني والعروض على امام اللغة الشيخ عبد الله البستاني . وقد نظم الشعر بالسليقة قبل ان يطلع على بحوره واوزانه . ولما انتقل اخوه الى بلدة جونيه بعدما عين رئيسا لمحكمة كسروان ، رافقه واكمل قراءة الفقه على شربل شحومي . وكان قد بدأ بدراسة الفقه على مليم المعوشي عضو دائرة الجزاء الاستئنافية في متصرفية لبنان . وفي شهر تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩١٦ تزوج من ماري شكر الله الحلو ورزق منها ثلاثة اولاد ، هم شوقي ووجدي وجورج . وفي ٨ شباط (فبراير) عام ١٩٦١ اغمض شبلي الملاط جفنيه الى الابد .

المعلم والصحافي

بعد مغادرته المدرسة ، تعاطى شبلي الملاط التدريس في معهد « الثلاثة اقمار » في بيروت . ثم في مدرسة « المزار » في بلدة غزير . ثم في مدرسة الحكمة في بيروت حيث بقي استاذا لصف المعاني والبيان طيلة سبع سنوات متواصلة . وتخرج عليه عدد من الطلبة المتفوقين . ولم يقتصر عمله على التدريس فقط خلال السنوات التي امضاها مع تلامذته، لقد الف وعرب عدة روايات تمثيلية منها « الذخيرة ، صاحب المعامل الحديدية ، الفريد الكبير ... » التي مثلت في المعاهد وعلى المسارح . ولاقت اقبالا شديدا من قبل الجمهور .

واحب الصحافة . فشرع بالكتابة في صحف « الروضة » و « الارز » و « النصير » . وفي عام ١٩٠٨ نال امتياز جريدة الوطن ، فانصرف الى تحريرها واصدارها يومية . وكانت مقالاته فيها توجيهية . وقد ساهم في تحريرها الشيخ اسكندر العازار والمحامي فائق غرغور والدكتور ايوب ثابت ورزق‌الله ارقش وجورج رزق‌الله واسكندر الرياشي واميل خوري . واصبحت جريدته منبرا للاقلام المتحررة التي كانت تنادي بسقوط الاستبداد والظلم والاقطاعية. ولظروف قاهرة احتجبت «الوطن» الى ان عادت الى الصدور في عهد الانتداب . وساعده في تحريرها آنذاك تلميذه الشاعر الفقيد وديع عقل .

الشاعر الموظف

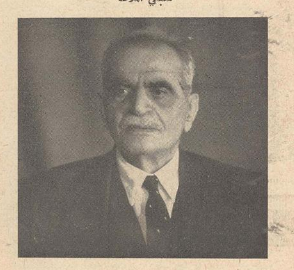
ولكن الايام المتتالية لم تسمح لشبلي بأن يتابع مهنة الصحافة . فامتهن الوظيفة . وفي سنة ١٩١١ عين رئيسا لمديرية التحريرات . وهذا المنصب يعادل اليوم منصب وزير الداخلية . وفي عهد الانتداب عين مديرا لبلدة زغرتا ، ثم قائمقاما لمنطقة المتن . واخيرا تسلم سكرتارية مجلس النواب بعد ان ظل مدة من الزمن رئيسا للمطبعة والجريدة الرسمية . وكان في كل المناصب التي تولاها اداريا حازما ونزيها ، يعمل من أجل مصلحة بلاده . زد على ذلك انه خدم الكثيرين ، وحقق بنفسه في الشكاوى ، ورد المظالم عن المضطهدين مستعينا بجرأته ونفوذه وشخصيته القوية ، ومعطيا لكل ذي حق حقه . فأجمعت القلوب على محبته والاعجاب بفضله ومروءته .

شاعرية شبلي الملاط

قامت شهرة شبلي الملاط على الشعر ، وعلى الشعر وحده ، وهو يعد اليوم احد شعراء العرب الفحول في هذا العصر . وسيبقى شعره مشعا على ممر الايام ، ما بقيت الكلمة الشعرية الأصيلة تطرب الاسماع وتلهب الشعور . في كل انواع القريض نظم . فجاءت قصائده متينة البنيان ، غنية المعاني ، جزلة الاسلوب . في الحقل الاجتماعي وضع الشاعر عدة قصائد صور فيها وارخ الاحداث والرجال والمشاريع . يقول في قصيدة القاها سنة ١٩٥٠ في مهرجان تدشين مستشفى بعبدا الحكومي الذي حضره رئيس الجمهورية يومذاك :

●

شبلي الملاط



أرسى على ربوة من كل ناحية — يستاف ارواح وزال وريحان
ترنو العيون اليه وهي خاشعة — ازاء ما فيه من فن واتقان
وترسل الارزة الخضراء قبلتها — اليه من فم ولهان لولهان
ودونه البحر تسبيه مناظره — فينثني عنه مفتونا بفتان

وفي قصيدة انشدها في الحفلة التي اقامها الشباب الوطني في دمشق لتكريم خليل معتوق يقول ، بعدما يتغنى بامجاد عاصمة الامويين:

ايه شباب دمشق انا معشر — ملتهف ابدا على جيرانه
متهلل للجار في افراحه — متوجع للجار في احزانه
فمصيركم كمصيره وكيانكم — لو تعلمون معلق بكيانه
كتبت لنا الاقدار حظا واحدا — لا يسالون الدهر عن حدثانه
ان فاتكم سوهي الدعامة عدة — للمرء يوم ضرابه وطعانه
فعلى الاقل تضامنوا فالمرء ذو — عصب شديد الحيل في اعوانه

وفي المجال الوجداني كانت لشبلي قصائد علتها اناشيد الصبابات، وعبق اريجها بعطور الرياحين والورود ، وان تكن قليلة العدد :

وجارة من ذوات الحسن صورتها — هيهات تبلغها في حسنها الصور
رانت على قلبي الخالي فهام بها — وظل يغريه منها الفنج والخفر
اسعى واقفو خطاها اينما اتجهت — والقلب يتبعها والفكر والنظر
عشقتها وهي لا تدري بما حملت — منها ضلوعي وما بالصدر يستتر

وفي قصيدة ((الى شادية)) يقول :

أشادية الهوى غني وزيدي — فصوتك رد لي طرب الشباب
وذكرني المدامة والندامى — وايام الصبابة والتصابي
وساعات المواعيد اللواتي — تقضت بالتراضي والعتاب
غنمناها على لهو بخود — مهفهفة معطرة الاهاب

ولم ينس الملاط ان يجول في شعره في حقل التاريخ ، فيرجع الى الوراء ، الى ايام ملكة تدمر وخالد بن الوليد وكسرى انو شروان ... ويروي المعارك ويصف شجاعة الابطال وهرب القواد تاركين وراءهم اسرى وعتادا ، وكل ذلك باسلوب نقي ، جذاب ، لا يجد القارىء اية صعوبة في التعلق به . يقول في قصيدة بعنوان ((ملكة تدمر)) واصفا باس وعزيمة زينب الملكة التي لم تحفل بالمصاعب ، ولم تابه للاهوال وتعتصم داخل قصرها عندما شنت الغارات على عاصمة ملكها لدك عرشها :

ومن المفاخر ان زينب اوتيت — فوق الجمال الفذ سطوة عنتر
ما غامرت في حلبة الا شاءت — شاو المجلي في متون الضمر
يغلي الدم العربي في اوداجها — غليان صدر المرجل المتسعر

ويختم قصيدته هذه الطويلة بابيات صادقة فيقول :

ان المشارق والمغارب لم تلد — بين الولائد مثل زينب تدمر
فقياصر الرومان انفسهم حكوا — ان ليس فيهم مثلها من قيصر
مهما تمخضت العصور فانها — تبقى اليتيمة في جبين الاعصر

اما في الحقل الرثائي ، فان الملاط برع فيه الى حد بعيد . لقد تسلح بصدق بالعاطفة عندما بكى معارفه واصدقاءه والسياسيين الصالحين والشهداء الذين ذهبوا في سبيل الواجب لما هبوا يطالبون بجلاء العثمانيين عن هذي الديار . ولم ينس ان يشيد بمناقبهم ... يقول في رثاء الشهيدين فيليب وفريد الخازن :

تعانقا باكيين — تحت الحبال التياعا !
لهفي وفي لحظتين — كان العناق وداعا !

وعام ١٩٣٢ نظم قصيدته الهائية عندما اقيم يوم الشاعر الفقيد فوزي المعلوف في البرازيل . يقول في مطلعها :

نسر مضى فرخه في الجو منطلقا — يجوب ملك ابيه في اعاليه
ما طار من عشه الا لمملكة — رهط الكواكب فيها من جواربه
ولي عهد ابى في ما استقل له — ان يكتفي كابيه في مراقيه
فشب في مفرق الجوزاء ينظمها — حليا وينثرها للناس من فيه

وهناك قصائد قالها الشاعر في مناسبات خاصة ، تحدث فيها عن نفسه وعن اشخاص عزيزين على قلبه ، وذكر مآثر الذين هاجروا بلادهم ، وهي اليوم بامس الحاجة اليهم . يقول في ((تحية المغتربين)) القصيدة القافية التي نظمها عام ١٩٣٤ عندما اخذ عدد المهاجرين الى اميركا يزداد ، والتي سلخ ابياتها من فؤاده الدامع :

أترى يعود النائبون الى حمى — نزلوا بحبة قلبه الخفاق
ويرون في شجراته وحقوله — روع الجني وخضرة الايراق
ويعاينون على الغصون ثماره — كالخوخ والتفاح والدراق

والملاط في شعره لم يتنكر للبنانيته وعروبته الصافية . انه احب الارزة واهداها قصائده واقسم بان يظل جنديها اليقظ والامين ، وهتف لولادة الاستقلال وتغنى بصنين والباروك وضهور الشوير وزحلة ، وشرب الكؤوس مع الصحاب في جزين وحمانا وميروبا .. ، وقدم البخور للمحورة وهي كانت مرتبعه في بعبدا :

يلقننا هوى لبنان آيا — طبعناها على القلب الخفوق
ترعرعنا على عهد وثيق — وقد شبنا على العهد الوثيق

وفي مكان آخر يقول :

ربي احفظ الارز الذي نافحته — طيبا فشن علي ريحا زعزعا
وبح التفوق حيث يجزى اهله — ذاك الجزاء وحقه ان يشفعا

وفي ((نشيد الارز)) يقول :

يهنيك يا لبنان — اشعة الالهام
وصحة الاحلام — في ارزك الريان
وحسبك استقلال — لو يعلم الجدود
بيومه المشهود — حنوا الى الاوطان

اما في ((نشيد العرب)) فانه يتغنى بشكيمة العرب ، ويهلل للنور الذي طلع من يثرب ، ويحني الرأس امام اعمال النبي محمد اجلالا واكبارا :

منذ اهتدى في يثرب — بالمصطفى الانصار
ورفرفت روح النبي — في عالم الانوار
وهدم الايمان — في مكة الاصنام
وقامت الاوطان — بصارم الاسلام
وقيل يا غرب اختبي — وانت يا شرق اذهب
في الارض خفاق البنود

في البلاد العربية

مثل شبلي الملاط لبنان في عدة مواقف ادبية في القاهرة وحلب ودمشق وبغداد . وكان في كل وقفة ذاك المجلي المبدع الذي تحدثت عنه الصحف باعتزاز ، ونشرت قصائده في اولى صفحاتها .

في عام ١٩٢٧ اقامت مصر مهرجانا لمبايعة أحمد شوقي بامارة الشعر. وذهب الملاط الى وادي النيل مندوبا عن رجال الادب في لبنان ليقول قصيدته البائية ((فم الميزاب)) التي حلق بها عاليا ، والتي قالت عن صاحبها جريدة الاهرام في اليوم الثاني للحفلة : ((ثم نهض صناجة العرب ، وفخر الادب ، شبلي ملاط بك ندب لبنان ومندوبه لهذا المهرجان ، فالقى قصيدة تسنم بها الذروة . وكان كل بيت من ابياتها بعد ان يمر بالاسماع حروفا وكلما يستحيل في النفوس طربا ونغما ، وكان في وقفة ملء العيون كما كان بقصيدته ونغمته ملء الصدور)) :

يا صاحب التاج الذي هبط الثرى — بالعرش والاقيان والحجاب
والخز والديباج في صندوقه — والراح واللذات في الاكواب
هلا وثبت الى حسامك وثبة — ودفعت عن مصر يد الطلاب
وبعثت صولة امة شرقية — ما انشات الا اسود الغاب
ايام طار الشرق فوق مضمر — والغرب سار على جواد كاب

ويوجه كلامه الى مصر التي انبتت الشاعر فيقول :

يا مصر قد الهمت صاحبك الذي   عزت عرائسه على الخطاب
غناك بسملة الخلود منافسا   هومير اطرب طائر اعرابي

وينتقل الى عدالة العرب وامجادهم وفتوحاتهم فيفخر بها ويقول :

من للزمان بمثل فضل محمد   وعدالة كعدالة الخطاب
رفع الرسول عماد امة يعرب   واعزها بالآل والاصحاب
غشت الفتوح وصفقت راياتها   في الشرق فوق اباطح وهضاب
وتغللت في الغرب طائرة على   اكتاف صقر جارح وعقاب
لولا تجلد شرل مارتل خيمت   في قلبه بسرادق وقباب
وغدت بلاد الغرب اندلسا بها   شوقي يزف سواحرا وسوابي

وفي عام ١٩٣٤ توجه ابو شوقي الى حلب ليمثل بلاده في مهرجان ازاحة الستار عن تمثال المطران جرمانس فرحات . فالقى قصيدة اهتزت لها ارجاء الشهباء وزغردت لها النساء طويلا . وهذا مطلعها :

الدين مصباح الهدى ومناره   والعلم ريحان الوجود وغاره
زين المفارق تاج كل منهما   ومن العيون بهاؤه ووقاره

ويقول واصفا حياة صاحب التمثال :

صلب العقيدة قلبه ولسانه   غض الزنابق لفظه وازاره
حمل الصليب مجاهدا ومبشرا   نعم الجهاد وحبذا مضماره
ملأ الحياة اشعة واذ انطوى   ملأ الضمائر وحشة تذكاره

ثم القى قصيدة ثانية في عاصمة بني حمدان اسكرت النفوس والافئدة ، وجعلت المستمعين في شبه غيبوبة سحرية ، وذلك عندما اقام له فريق من ادباء حلب حفلة تكريم ووداع في نادي الشبيبة الكاثوليكية. وهذا مطلعها :

وددت لو ان الشهباء داري   اذا ازمعت عن وطني ارتحالا
وان جار الزمان علي فيه   فلست ارى سوى حلب مآلا

وفي عام ١٩٤٧ مثل الملاط بلاده في مهرجان تكريم شاعر الاقطار العربية خليل مطران في القاهرة . فانشد قصيدة دالية تحدث فيها عن مكانة المطران في دولة القريض ، وحيا وادي النيل والهرمين وآثار الفراعنة الباقية بقاء العصور :

خليل اتيت وادي النيل صبا   اليك معالجا بعض الصدود
وقدما جئت في الركب الوئيد   وجئت اليوم في الركب الوحيد

ثم يقول :

اخا الصفحات بيضا ناصعات   ورب النثر والدر النضيد
وصاحب حافظ ورفيق شوقي   ووامق طلعة النشء الجديد
وعاقد بيت مجدك بالدراري   ورافعه الى برج السعود
وكم بيت يراه الناس أعلى   بذي ادب من القصر المشيد

وغير ذلك كثير من القصائد التي ألقيت في المناسبات العربية الكبرى مما يضيق المجال هنا عن سرده .

والخلاصة ان شبلي الملاط كان سيدا من سادات المنابر ملأ الاسماع بالشعر المطرب الراقص ، وألقى القصائد في عواصم الضاد حاملا معه تحيات الارز المبارك ، فكان خير رسول للبنان . واحيا تاريخ العرب في مواقف مثيرة ، وخاطب امراء البيان ورجالات الفكر ، ونافح عن استقلال وطنه ، وانشد فوق رباه وقممه ، ووقف على اوديته يسرح الطرف فوق سهوله الخضراء وحدائقه الغناء.. وكان في كل بيت نظم ذلك الشاعر الفحل الفصيح اللسان المتين الديباجة والسبك ، الشاعر الصادق المخلص في شعره . لهذا كله كان « شاعر الارز » رحمه الله .

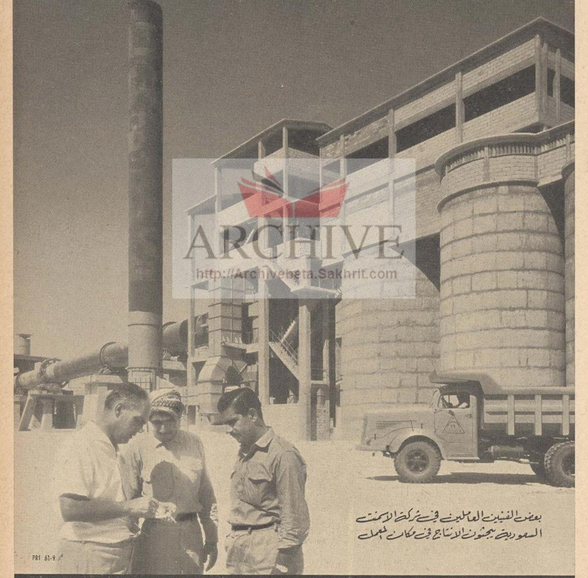
ابراهيم عبده الخوري

من اليمين الى اليسار : شاعر الاقطار العربية خليل مطران ، امير الشعراء احمد شوقي، شاعر النيل حافظ ابراهيم، شاعر الارز شبلي الملاط



شركة اسمنت جديدة بالقرب من الهفوف وهي أول شركة بالمملكة العربية السعودية تستخدم الغاز الطبيعي لأغراض صناعية

سيستهلك معمل شركة الاسمنت السعودية الجديد ٣,٦ مليون قدم مكعب من الغاز الطبيعي في اليوم لانتاج ٣٠٠ طن من الاسمنت يوميا



بعض الفنيين العاملين في شركة الاسمنت السعودية يبحثون الانتاج في مكان العمل

شركة الزيت العربية الأمريكية، الظهران - المملكة العربية السعودية



نوفمبر ١٩٦١

٢٢ ـ اعيدت العلاقات الدبلوماسية بين البرازيل وروسيا وكانت مقطوعة منذ ١٩٤٧ .

ـ زادت امريكا قواتها ١٧٢ الف جندي في شهر واحد بسبب ازمة برلين .

ـ امريكا تنفي التهم الموجهة من كوبا بالتدخل المسلح في جمهورية الدومنيك .

ـ اثر زيارة رئيس وزراء اليابان للهند صدر بلاغ مشترك دعا فيه نهرو وايكيدا الى وقف التجارب النووية .

ـ وصل كيكونين رئيس فنلدا الى روسيا لاجراء محادثات مع خروشوف .

ـ الملكة اليزابيت وصلت مونروفيا في زيارة رسمية لليبريا .

٢٤ ـ وصل ديغول الى لندن واجتمع بماكميلان لبحث قضية برلين وسائر القضايا الدولية .

ـ اصدر خروشوف وكيكونين بلاغا عن محادثاتهما بانها جرت في جو من الصراحة والتفاهم والثقة . وقد احيطت بكتمان شديد وتناولت الحالة في شمال اوروبا واقتراح اتخاذ اجراءات مشتركة لتقوية حدود فنلندا وروسيا .

ـ دعت الجمعية العامة الدول الاعضاء الى اعتبار واحترام القارة الافريقية كمنطقة مجردة من الاسلحة النووية .

٢٥ ـ القى عبد الناصر خطابا في اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطني الذي سيتولى وضع الدستور، اكد فيه ان الثورة الاجتماعية في مصر بعد الثورة السياسية التي حققت اهدافها مستمرة وسائرة .

ـ اصدر اللواء قاسم عفوا عن العقيد عبد السلام عارف نائب رئيس الوزراء السابق واطلق سراحه .

ـ اجاب تشومبي على قرار مجلس الامن القاضي بانهاء انفصال كاتانغا عن الكونغو بطريق القوة اذا لزم الامر ، بانه سيقابل القوة بالقوة .

ـ ذكرت موسكو ان المفاوضات العسكرية الروسية الفنلندية قد اجلت بطلب من كيكونين لتفادي توتر شديد في البلطيق حاليا .

٢٧ ـ احتلت القوات الدولية مدينة كنيدو المتمردة في الكونغو حيث سبق ان قتلت القوات الكونغوية ١٣ طيارا ايطاليا تابعين للامم المتحدة .

ـ اقترحت روسيا على الغرب مشروع اتفاق من ٤ بنود لحظر جميع التجارب النووية في الجو وتحت الارض وتحت مياه البحر .

٢٨ ـ توفي في بغداد خالد النقشبندي عضو مجلس السيادة العراقي .

ـ اعلن نهرو : اعددنا العدة العسكرية لوقف توسع الصين الشيوعية في اراضينا . وقال ان الاعتداءات الاخيرة دليل على العقلية العدوانية التي تسير السياسة الصينية .

ـ نشرت الازفستيا السوفياتية حديثا لها مع كنيدي قال فيه : على الروس ان يكفوا عن تشويع العالم بالقوة . ومن الضروري حل قضيتي برلين وحظر التجارب النووية وبذلك يفتح الطريق لصفاء العلاقات .

ـ اقرت الجمعية العامة مشروع قرار بانهاء الحكم الاستعماري في العالم وشكلت لجنة من ١٧ عضو للتوصية بشأن تنفيذ القرار .

ـ استؤنفت في جنيف مفاوضات حظر التجارب النووية . الغرب يعتبر المشروع الروسي خطة للدعاية . وامريكا تصر على متابعة تجاربها اثناء المحادثات .

٢٩ ـ صرح محمد ايوب خان بان حشد القوات الافغانية على حدود باكستان ما زال مستمرا . وقال ان باكستان مستعدة لمواجهة اي عدوان .

ـ البيان الوزاري لحكومة المانيا الغربية شدد على تزويد قوات الاطلسي باسلحة نووية واعادة توحيد المانيا وعدم الاعتراف بالقطاع الشرقي .

ـ امريكا تتهم روسيا باستخدام المانيا الشرقية للتجسس على الغرب .

ـ اعتداءات جديدة على الدوليين في كاتانغا ، مقتل جندي وفقدان ضابط . اقترح تشومبي تعيين سياسي افريقي مستقل للتوسط بينه وبين حكومة ليوبولدفيل .

٣٠ ـ استعمل الاتحاد السوفياتي حق الفيتو ضد طلب الكويت بالانضمام الى الامم المتحدة .

ـ اشتبك النواب في البرلمان الفرنسي بسبب قضية الجزائر وقطعت الجلسة .

ـ قوات من جيش الكونغو تتحرك استعداد للزحف على كاتانغا من جديد .

ديسمبر ١٩٦١

١ ـ بدات الانتخابات النيابية العامة والاستفتاء على الدستور الموقت في الجمهورية العربية السورية .

ـ « منظمة الجيش السري » الارهابية الفرنسية توسع حملاتها لعرقلة المفاوضات الفرنسية الجزائرية . وامتد نشاطها الى مدينة الجزائر .

ـ اعلن يوثانت امين عام الامم المتحدة ان تشومبي رجل متقلب جدا وقادر على الادلاء باي تصريح . وفي كاتانغا اعلن تشومبي ان قواته صدت هجوما قام به جنود الكونغو .

٢ ـ اعيد تشكيل مجلس السيادة العراقي من الفريق نجيب الربيعي رئيسا وعبد المجيد كمونه ورشاد عارف عضوين .

ـ المحادثات السرية الجزائرية الفرنسية اوشكت على الانتهاء واعلان النتائج .

ـ وافقت روسيا على اقامة علاقات حسن جوار مع النروج .

ـ صرح ماكميلان بانه اذا استمر الانقسام الاقتصادي في اوروبا فسيكون من الصعب تجنب انقسام سياسي .

ـ اقترح غروتوفول رئيس حكومة المانيا الشرقية في رسالة الى اديناور اجراء مفاوضات لعقد اتفاق موقت بين شطري المانيا بانتظار تسوية الخلافات المعلقة بينهما . وقد رفضت المانيا الغربية تسلم الرسالة .

٤ ـ وقعت الدول الغربية والكتلة السوفياتية اتفاقية بعيدة المدى حول كيفية صيانة سلام وحياد لاوس .

ـ بدأت اللجنة السياسية للامم المتحدة مناقشة قضية اللاجئين الفلسطينيين .

ـ انذرت روسيا انها ستستانف تجاربها النووية اذا تابع الغرب تجاربه حتى تحت الارض .

ـ الامم المتحدة تنذر قوات تشومبي بالعودة الى معسكراتها وهددت بالقيام باعمال عسكرية في كاتانغا .

٥ ـ اعلن نهرو في البرلمان ان الصين الشيوعية هددت بارسال قوات عبر خط مكماهون الى الاراضي الهندية في الشمال الشرقي. وترفض الصين الاعتراف بهذا الخط كحد فاصل .

ـ وجهت الى ٤ موظفين فرنسيين معتقلين في القاهرة تهمة ارتكاب عمل جنائي ضد الجمهورية المتحدة يستهدف التجسس .

ـ صدر مرسوم يدعو المجلس التاسيسي والنيابي الجديد في سورية الى الاجتماع في ١٢ الشهر الجاري .

ـ اقر مجلس منظمة الدول الامريكية اقتراحا يدعو الى بحث القيام بعمل مشترك ضد نظام الحكم في كوبا .

ـ قتال عنيف يدور بين جيش كاتانغا والقوات الدولية في اليزابيت فيل اشتركت فيه نفاثات الامم المتحدة . نفى تشومبي الموجود في باريس قول الامم المتحدة انها اكتشفت خطة لمهاجمة قواتها .

٦ ـ اعلن في عمان ان الملك حسين يسافر غدا الى بريطانيا في زيارة خاصة وقد عين الامير محمد نائبا للملك .

ـ عادت الملكة اليزابيت الى لندن من رحلتها الى غانا وسيراليون وغامبيا والسنغال

ـ عززت الحكومة الفرنسية تدابيرها لمطاردة منظمة الجيش السري الارهابية التي تنادي بجزائر فرنسية .

ـ اعلنت كاتانغا ان قواتها قتلت ٥٠ جنديا دوليا في المعارك التي اخذت تتسع وتشمل مناطق ماهولة ، ويشترك فيها السلاح الجوي. واعلنت امريكا تاييدها لقرار الامم المتحدة والقت على تشومبي تبعة اعمال العنف . واعلنت بريطانيا انه لا يحق لقوات الامم المتحدة في كاتانغا ان تحاول فرض حل سياسي بالقوة .

ـ صدقت روسيا على اكبر موازنة عسكرية عرفها الاتحاد السوفياتي .

٧ ـ بدأت في روما المفاوضات التونسية الفرنسية على مشكلة بنزرت وسائر القضايا المعلقة بين البلدين .

ـ نقلت فرنسا بن بللا ورفاقه الاربعة وجميعهم اعضاء في حكومة الجزائر الموقتة رغم اعتقالهم ، الى قصر دنوي الريفي في جنوب باريس .

ـ انتهت المحادثات التي اجراها في لندن عبد الرحمن عزام مستشار الملك سعود مع الحكومة البريطانية على واحة البريمي . قال بيان بريطاني ان المحادثات كانت كاملة وصريحة

ـ نفت فرنسا اتهام القاهرة بان دبلوماسييها الاربعة ارتكبوا عملا جنائيا ضد الجمهورية المتحدة . قال وزير الخارجية دو مورفيل ان اعتقالهم قضية تهم جميع الدول الغربية.

٨ ـ قال دين راسك وزير الخارجية الامريكية ان اعلان كاسترو في خطابه الاخير ايمانه بالشيوعية يوفر على امريكا مهمة اثبات ما تعرفه عنه منذ مدة للدول الاخرى .

ـ القوات الدولية تقصف اليزابيت فيل مدة ١٠ ساعات . القتال بين الدوليين وقوات كاتانغا ضار والمقاومة عنيفة . واعلنت فرنسا ان تدخل الامم المتحدة في كاتانغا لا ينسجم وميثاقها وتشكيلها . امريكا تؤكد ان غاية الدوليين ليست الاحتلال . تشومبي الذي عاد الى اليزابيت فيل من باريس يقول ان امريكا قتلت كاتانغا كما قتلت روسيا المجر سنة ١٩٥٦ .

ـ في رسالة تهنئة من ماكميلان الى اول رئيس لوزارة تنغانيقا جوليوس نيير يرى ان تنغانيقا ستصبح اعتبارا من مساء اليوم العضو ١٤ في الكومنولث .

٩ ـ وصل اديناور مستشار المانيا الغربية الى باريس حيث اجرى محادثات مع ديغول وصدر بلاغ مشترك يقول ان هناك اتفاقا على الاهداف وعلى ضرورة الاحتفاظ بالتضامن بين الدول الغربية .

ـ قال خروشوف ان لدى روسيا قنابل نووية قوتها ١٠٠ مليون طن من مادة ت.ن.ت الناسفة .

١١ ـ عقد وزراء خارجية الدول الغربية والمانيا الغربية مؤتمرهم في باريس لبحث قضية برلين والقضايا الدولية الخطيرة .

ـ اجريت في بوسطن عملية جراحية للملك سعود في عينه .

١٢ ـ عادت الحياة البرلمانية الدستورية الى سورية وعقد المجلس النيابي اولى جلساته وانتخب الدكتور مامون الكزبري رئيسا للمجلس .

ـ اقترحت امريكا ان تطلب الجمعية العامة من لجنة التوفيق اتاحة المجال للاجئين الفلسطينيين ان يختاروا بين العودة او قبض التعويضات عن املاكهم في فلسطين .

ـ صدر قانون النفط في العراق بتحديد مناطق استثمار الشركات .

ـ اعتقال ١٥ شخصا ومصرع ضابط بمحاولة قلب نظام الحكم في شمالي الصومال .

ـ ارسلت روسيا مذكرة الى امريكا تتهم فيها الجنرال الالماني ادولف هويسنغر رئيس اللجنة العسكرية الدائمة لحلف الاطلسي في وشنطن بانه مجرم حرب وتطالب بتسليمه لها لمحاكمته .

ـ القتال في اليزابيت فيل مستمر . قوات كاتانغا تسيطر على وسط المدينة ويسيطر الدوليون على خارجها .

١٣ ـ قال راسك وزير خارجية امريكا في المؤتمر الوزاري لحلف الاطلسي ان امريكا لن تعقد اي اتفاق مع الروس يمس حقوق حليفاتها في برلين .

ـ وافق وزراء خارجية امريكا وبريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية في اجتماع طارىء في باريس على استئناف المحادثات الاستطلاعية مع روسيا على برلين .

ـ وصل الى الاسكندرية الاميرال جورتكشوف قائد البحرية السوفياتية الاعلى في زيارة للبحرية العربية .

ـ وصلت نجدات جديدة للامم المتحدة في كاتانغا وعززت قدرة قواتها على شن هجوم شامل .

ـ بموجب عفو وقعه ديغول سيطلق سراح اكثر من الفي جزائري بمناسبة عيد الميلاد .

١٤ ـ اوصى مجلس الامن بقبول تنغانيقا عضوا في الامم المتحدة .

ـ انتخب المجلس التاسيسي الدكتور ناظم القدسي رئيسا للجمهورية العربية السورية.

ـ اقر مجلس حلف الاطلسي الوزاري اجراء دراسات لجعل الحلف قوة نووية وتزويده بالصواريخ النووية المتوسطة المدى.

ـ وجه ٤٠ نائبا في كاتانغا نداء الى وزراء خارجية بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وامريكا لوقف اعمال الامم المتحدة في كاتانغا . اصدرت ٤٦ دولة افريقية واسيوية في مقر الامم المتحدة بيانا انتقدت فيه موقف بريطانيا وفرنسا من اعمال الامم المتحدة في الكونغو .

ـ انتخب وزير الدفاع بول شوديه رئيسا للاتحاد السويسري لسنة ١٩٦٢ .

١٥ ـ حكمت المحكمة العسكرية الاسرائيلية على ادولف ايشمان بالاعدام شنقا بتهمة قتل ملايين اليهود ابان الحكم النازي .

ـ بعد اخراج اعضاء السفارة الالبانية من موسكو كشف ماوتسي تونغ عن الصراع بين قطبي الشيوعية الدولية في بكين وموسكو وقال ان الصين تسير على خطى لينين .

ـ سافر بريجنيف رئيس المجلس السوفياتي الاعلى الى دلهي في زيارة رسمية للهند .

ـ اذاع بن خده بيانا قال فيه ان على المستوطنين الفرنسيين ان يدركوا ان اعمال جيش الاحتلال ترمي الى افساد مستقبل العلاقات بينهم وبين اهل الجزائر مؤكدا ان استقلال الجزائر امر محقق .

ـ رفضت الجمعية العامة طلب الدول العربية اعلان استقلال محمية عمان ووافقت على طلب سحب بريطانيا قواتها من المنطقة .

ـ امر كنيدي بزيادة مساعدات فيتنام الجنوبية لمواجهة العدوان الشيوعي من الشمال

ـ شنت القوات الدولية هجوما عنيفا على اليزابيت فيل كما امنت حرية انتقال الدوليين ومواصلاتهم . وحذر ديغول على طائرات الامم المتحدة استخدام الاجواء الفرنسية في حمل نجدات او اسلحة الى الكونغو .

١٦ ـ توغلت القوات الدولية في اليزابيت فيل واحتلت مراكز استراتيجية هامة . قداسة البابا يوحنا يناشد المسؤولين تامين عودة السلم الى الكونغو. اذاع الجنرال شون ماكيون قائد القوات الدولية في الكونغو نداء الى قوات كاتانغا للتعاون مع قواته على وقف القتال .

مطبعة الغريب شارع هوفلين - بيروت - ت: ٢٤٦١٨٥